عبد الحميد البلالي



راجعه وقدم له المستشار
سالم البهنساوي

دار الدعوة
-٣٣-


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فقه الدعوة في إنكار المنكر

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



تلفون : ٢٥١٥٠٤٥ - ص.ب : ٦٦٥٢٠ بيان

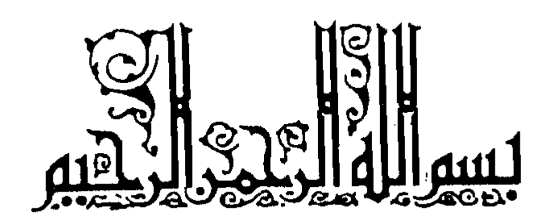
الكويت

عبد الحميد البلالي

فقه الدعوة في إنكار المنكر

راجعه وقدم له المستشار
سالم البهنساوي

دار الدعوة
-٣٣-
الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن خصوم الإسلام قد استخدموا علمهم ، وفرغوا علماءهم لإضعاف الأمة الإسلامية عن طريق الصراعات والخلافات التي تمارس بعنف باسم العلم ، وتحت مظلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لقد امتلأت الساحة بالجماعات والتيارات ، وكل منها يعلن أنه يمثل الإسلام المصفى ، وأن غيره مزعزع العقيدة ، وأنه لهذا يدعوه إلى الإسلام الصحيح ، وإلى الحق الذي لا شيء بعده إلا الضلال .

بهذا المنطق حرَّموا أي تعاون مع الذين يخالفونهم في الرأي بل منهم من أباح اللعن ، أو السب أو أوجب التشهير بهم بدعوة أن المخالف في الرأي يعد من أصحاب البدع ، وهؤلاء يجب التحذير من بدعتهم .

وهذا المنهج هو من عوامل الابتلاء التي أصابت الحركة الإسلامية المعاصرة ، وهو ابتلاء ازداد بسبب غياب الفقه بأصول الإنكار عند السلف الصالح ، وهذا ما أعده الأخ

الفاضل الأستاذ عبد الحميد البلالي الذي جمع هذه الأحكام مؤيدة بدليلها من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتطبيقات ذلك في عصر الصحابة ومن تلاهم من السلف الصالح .

إن العاملين في حقل الدعوة الإسلامية على اختلاف منازلهم في حاجة مستمرة إلى تذكر هذه الأصول التي جاءت في كتابه « فقه الدعوة في إنكار المنكر » وعلى الأخص ما يأتي :

١ ـ إنه إذا ظهر المنكر من الجماعات أو الأنظمة فإن واجب التصدي لهذا المنكر يكون بمعرفة جماعة مماثلة ، وهذا يوجب تعاون الجماعات والأفراد ليتمكنوا من إنكار هذه العامة لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ ليس فيه أن تتحزب كل جماعة ، وتدعى أنها بهذا تتعاون على إنكار المنكر وإزالته ، فهي بهذا التحزب تضعف من كلفهم الله تعالى بالتعاون فيما بينهم في الوقت الذي يتعاون فيه الآخرون على إضعاف التيار الإسلامي .

٢ ـ إن غياب فقه الإنكار عند السلف الصالح هو من الأمراض المستشرية في جسم الحركة الإسلامية مما يزيد من حجم البلاء الذي تستثمره الأنظمة التي تسعى لتصفية الإسلام الجماعي .

٣ ـ إن القيام بواجب النهي عن المنكر يستلزم المعرفة الموسعة بعلم أصول الفقه ، فليس حراماً كل لفظ تضمن نهياً ، وليس فرضاً كل لفظ ظاهره الوجوب ، وليس صاحب بدعة كل من ترك مباحاً أو مستحباً، ولهذا فلا يصلح كل داعية إسلامي ليكون مفتياً في أمور الدين ، ولا ليكون مختصاً بالإنكار على المسلمين حكاماً ومحكومين .

٤ ـ إن اشتغال طالب الشهرة أو المعرفة بالإنكار هو خصلة من خصل النفاق ، فالإخلاص الواجب توفره فيمن يتولى الإنكار لايجتمع أبداً في قلب قد جنح إلى الرياء أو حب الاستعلاء والشهرة .

٥ ـ إن الإنكار بالقلب يستلزم مغادرة مكان المنكر ، ومفارقة أصحابه ، لأن الجلوس معهم مع القدرة على مفارقتهم هو نوع من الإقرار الممنوع في دين الله تعالى .

٦ ـ إن من ضوابط الإنكار الإسرار بالنصيحة وعدم إظهار الأستاذية على الغير ، فالنصح غير التشهير ، ولايقترن بالاستعلاء بعلم أو غيره ، فمن قال إنه عالم فهو جاهل ، ومن سعى إلى التشهير بغيره فقد خان أمانة النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

٧ ـ إن الإنكار على المجتهدين في الأمور الخلافية هو لون من ألوان الجهل بفقه الإنكار ، لأن اعتبار الرأي الآخر منكراً

تجب إزالته لا يملكه إلا من كانت له صفة الربوبية أو البابوية التي تخول صاحبها حق التحدث باسم الله تعالى ، فيكون للآمر حق التحليل والتحريم .

٨ ـ إن عدم الإنكار في الأمور الخلافية لايعني التواصي بكتمان الحق أو الامتناع عن الحوار العلمي والنصح في الدين ، فهذه الأمور لا يخلو منها كتاب من كتب الفقه الإسلامي ، ولكن عدم الإنكار يعني الامتناع عن اعتبار الرأي المخالف منكراً تجب إزالته ، فقد وصل بعض أئمة المسلمين إلى منزلة يستطيعون معها فرض ما يرونه الصواب ، ولكنهم امتنعوا عن ذلك في الأمور الخلافية ، فقد روى الطبري أن عمر بن الخطاب وهو خليفة لقي رجلاً فسأله عن مسألة ، ماذا صنعت فيها ؟ فقال : قضى عليّ وزيد بكذا ، قال عمر : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، قال الرجل : فما يمنعك والأمر إليك ؟ قال عمر : لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسول الله لفعلت ، ولكني أردك إلى رأيي والرأي مشترك .

والإمام مالك رضي الله عنه قد رفض أمر الخليفة أن يكون فقه الإمام مالك هو الواجب في الأقاليم ، وكانت حجة مالك أن كتابه « الموطأ » قد سبقه أقاويل وأحاديث وروايات فيجب ترك الناس وما اختاروه من هذا كله .

٩ ـ إن من فقه الإنكار تقديم الأهم على المهم ، فلا تشغل الأمة بفرع من فروع الدين ، بينما توجد منكرات ظاهرة لاينشغل الدعاة بتغييرها بالطرق المشروعة ، بل قد يكون الاهتمام بما دونها إهمال لها .

١٠ ـ إن من فقه الإنكار استخدام الوسائل غير المباشرة وذلك منعاً من استفزاز الآخرين ، أو بسبب سلطة صاحب المنكر ، أو عدم القدرة على المواجهة المباشرة ، أو خشية وقوع أضرار لايتحقق معها إزالة المنكر . وقد ذكر المؤلف أمثلة لذلك برسائل النبي ﷺ إلى الملوك ، وهذه وسائل مباشرة في الدعوة إلى الإسلام ولكنها أيضا وسيلة غير مباشرة فيما استشهد به المؤلف من عدم الإنكار الصريح عليهم بذم معتقداتهم وذلك اكتفاء بدعوتهم إلى الإسلام .

لهذا ولغيره مما تناوله الكتاب بالتفصيل سطرت هذه الكلمات راجياً أن يسود هذا الفقه بين الدعاة جميعاً حتى لا نفقد الوعي بسبيل المؤمنين ، وبالله تعالى نعتصم ونتأيد .

المستشار

سالم البهنساوي



مقدمة

لا يختلف اثنان في أن ما يصيب الحركة الإسلامية من ابتلاءات تعصف بها ميمنة وميسرة إنما هو نتائج قائمة من أسباب ، على رأسها تخطيط أعداء الدين بجميع مللهم إلى جانب الذين ساروا في طريق الطاغوت من العرب والمسلمين ، ممن رضوا بأن يكونوا عبيداً لأعداء الدين ووسيلة لهم للقضاء على هذا الدين وأتباعه ، إلا أن هناك أسبابا داخلية في جسم الحركة الاسلامية تساعد بل وتزيد من حجم البلاء المنهمر على الحركة الإسلامية وتكون مبرراً في كثير من الأحيان لاستغلالها من قبل الطواغيت لإنزال أقسى أنواع الظلم والتعويق على الدعاة إلى الله بشكل عام . . تطبيقاً لمخططات أعداء الدين .

ومن أبرز هذه الأسباب الداخلية الجهل بأصول الإنكار على أصحاب المناكر بجميع أصنافهم ، مما يؤدي زيادة لما ذكرنا نشوء حاجز نفسي بين الدعاة وبين سائر أصناف المدعوين ، حتى من غير أصحاب المناكر ، مما يجعلهم يحكمون حكما عاما على سائر الدعاة بنفس الحكم على ذلك الجاهل الذي أساء للدعوة أكثر مما ينفعها كما يظن .

لذلك جاءت هذه الدراسة لتعيد ما اندرس من فقه الإنكار بين صفوف الدعاة ولتكـون نبراسـا يهدي الـدعاة في طـريقهم الشاق لكي يفوتوا على أعداء الدين كل الفرص لضرب الحركة الإسلامية بعـد أن يعلموا الأصـول والقواعـد والدرجـات التي يستهدون بها في تعاملهم مع عامة الناس .

● **لماذا فقه الانكار :**

ولا نعني بتسمية هذه الدراسة بفقه الإنكار إغفال دور « الأمر بـالمعروف » ولكننا أردنا أن نـركز عـلى « الإنكـار » دون الأمـر بالمعروف لاستقرائنا لكثير من حوادث الدعوة الإسـلامية سـواء قبل سقوط الخلافة أو بعدها ووصـولنا بعـد ذلك إلى قنـاعة أن معظم الضربات التي أصابت الدعاة في الماضي والحاضـر كانت بسبب جهلهم بـأصـول الإنكـار المستقـاة من الكتـاب والسنـة والصحابة والتابعين ووعاة هذا الأمر من رواد الدعوة الإسلامية بالماضي والحاضر .

ومع ذلك ففي كثير من الأحيان يصبح من الصعب التفريق بـين الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر لشفافيـة الحاجـز الذي يفصل بينهما ، ففي كثير من الأحيان يكـون الأمر بـالمعروف في حالة من الحالات هو عين الإنكار وكذلك الإنكار يكون في كثير من الأحيان هو صلب الأمر بالمعروف وربما كان هذا هو السبب

الذي جعل هذين الأمرين متلازمين أينما ذكرا سواء في كتاب الله أو السنة المطهرة أو بالكتب التي بحثت هذا الأمر . وعموماً هو اجتهاد ولا يخرجنا عن صلب الموضوع وأهمية معرفة أبناء الحركة الإسلامية بأصول وقواعد ودرجات هذا الفن من فقه الإنكار .

● تحت راية الملك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من خارج يخرج - يعني من بيته - إلا بيده رايتان، راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحب الله عز وجل ، تبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته »[1] .

وشتان بين الرايتين ، راية الخير وراية الشر ، فالداعية إلى الله عندما يخرج من بيته وقد اعتلجت مآسي الأمة وجهلها في نفسه مما يجعله في شوق لأن يرى راية الله خفاقة على ربوع البلاد الإسلامية بعد أن أسقطها أعداء الله وجهلاء هذه الأمة فلا يرى

(١) أخرجه الإمام أحمد وصححه أحمد شاكر (٨٢٦٩)

له هواية سوى انتشال من استطاع من هذه الأمة وإعادته إلى جادة الصواب ، فلذلك فهو دائما تحت راية الملك غدوه ورواحه يقظته ونومته حركته وسكونه ، لذلك فقد وطن نفسه على تحمل كل ما يلاقيه من بلاء من أصحاب راية الشيطان وحتى من أقرب الناس إليه .

● شوك بلا أوراق :

لقد وعى هذه الحقيقة كعب الأحبار رضي الله عنه وأراد أن يتأكد من وجودها لدى أبي مسلم الخولاني فقال له :

« كيف منزلتك من قومك ؟ قال : حسنة .

قال كعب : إن التوراة لتقول غير ذلك .

قال : وما تقول ؟

قال : تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه .

فقال : « صدقت التوراة وكذب أبو مسلم »[٢] .

ولعل أبا مسلم قد احتك في الكثير من أصناف الناس بعد تلك المحاورة مع كعب الأحبار ومارس مهمة الدعاة إلى الله من

---

(٢) تنبيه الغافلين ـ للنحاس ص ٩٦ .

الأمر والنهي واقترب أكثر من الحقائق التي كان يجهلها عن طبائع الناس حينما سأله كعب ، مما جعله يتذكر جيل الصحابة الأخيار والذين كانوا هم الذين يسعون إلى بعضهم البعض لمعرفة عيوبهم ونقائصهم ويرى جيله الذي هو فيه ممن يرفض قبول النصيحة فيقول : « كان الناس ورقا لا شوك فيه ، وإنهم اليوم شوك لا ورق فيه إن سابتهم سابوك وان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك »[٣] .

هكذا يصف الجيل الذي كان يتقبل النصح كأنه أوراق بلا شوك فلا يؤذي من مسه ، ويسعد الناظر إليه بخضرته ، ويصف الجيل الذي يرفض قبول النصح بشوك لا ورق فيه يؤذي من يمسه ويدمي أنامله الممتدة برفق إليه ويزعج الناظر إليه لقبح منظر الشوك الذي لا ورق فيه .

● فضول الدعاة :

والداعية إلى الله يلاقي الكثير من الآلام من هذه الأشواك البشرية مادام في طريق الدعوة لأنهم يعتبرون نصحه لهم وأمره ونهيه فضولا فيما لا يعنيه وتدخلا شخصيا لا يهمه ولئن سمعنا

---

(٣) الزهد ٣٦٧ .

هذه العبارة كثيرا في أيامنا هذه ، فلقد توقعها الإمام أحمد بن حنبل في عصره وربما سمعها وأراد أن يفهمها إلى أحد أتباعه لكي لا يتفاجأ إذا سمعها وأمثالها في يوم من الأيام من الذين يأمرهم وينهاهم من الناس فهذا هو عمر بن صالح يقول : « قال لي أبو عبدالله : يا أبا حفص يأتي على الناس زمان المؤمن بينهم مثل الجيفة ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع ، فقلت : وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع ؟

قال : صيروا أمر الله عز وجل فضولا .

قال : المؤمن إذا رأى أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر لم يصبر حتى يأمر وينهي ، يعني قالوا هذا فضول .

قال : « والمنافق كل شيء يراه قال بيده على أنفه فيقال نعم الرجل ليس بينه وبين الفضول عمل »[٤] .

● العز لنا لا لغيرنا :

ولعل شيئا من الوساوس الشيطانية تراود نفس الداعية تدعوه للكسل المثبط عن القيام بواجب التصدي للمناكر ، خاصة عندما يرى استمرار تدفق الدماء الزكية من الأيدي المتوضئة بسبب تلك الأشواك البشرية الصلبة ، أو لما يرى من حسن حال

---

(٤) الآداب الشرعية ١/٢١٧ .

أهل المناكر وما أفاء الله عليهم من النعم الكثيرة التي لم يقدرها الله له فيتخذ الاعتزال مبدأ ، أو ربما تاقت نفسه للدنيا فركن إليها ، وكأن يد الإمام ابن الجوزي تمتد من الماضي السحيق لتمسح مسحة حانية على رأس ذلك الداعية ، ليقطع دابر تلك الوساوس ، وهو يقول له بثقة المربي الخبير « تلمح يا أخي عواقب الأحوال وأقمع الكسل المثبط عن الفضائل واعلم أن الفضائل لا تنال بالهوينا ، فبارك الله لأهل الدنيا في دنياهم فنحن الأغنياء وهم الفقراء فان عمروا داراً سخروا الفعلة وان جمعوا مالا فمن وجوه لا تصلح وكل واحد منهم يخاف أن يقتل أو يعزل أو يسم فعيشهم نغص ، العز في الدنيا لنا لا لهم ، وإقبال الخلق علينا وفي الآخرة بيننا وبينهم تفاوت إن شاء الله تعالى »[٥] .

فإذا كان أنعم أهل الدنيا هم من أصحاب السلطان والنفوذ ويعيشون في هذا الضنك من القلق والخوف الدائم من القتل وسرقة المال أو العزل من المنصب أو الاغتيال ففيم التمني لما عندهم وهذه هي معيشتهم ؟

---

(٥) الآداب الشرعية ١ / ٢٤٦ .

● الجبان الكسلان :

ولئن كان دخول الشيطان على ذلك الصاحب من باب تفضيل ما عند أهل الدنيا من أصحاب المناكر على ما يلاقي من البلاء وتزيين الدنيا له ليبعده عن طريق الدعوة فإن دخوله على مثل الإمام ابن الجوزي والذي نصح ذلك الصاحب بعدم الإفتتان في الدنيا لابد أن يكون دخوله عليه من باب آخر وذلك بتزيين نمط من العبادة كالذكر والتفكر والمحاسبة وما شابهها على القيام بهداية الآخرين وانتشالهم من الجهل إلى العلم بطريق الله سبحانه ، ولكنه يفطن لهذه الوسوسة الشيطانية ويقول :

« إذا تأملت إلى باب المعاملات ، قل الأمل ورق القلب وجاءت الدموع وطابت المناجاة وغشيت السكينة وصرت وكأني في مقام المراقبة إلا أن العلم أفضل وأقوى حجة وأعلى رتبة وإن حدث ما شكوت منه والمعاملة وإن كثرت الفوائد التي أشرت إليها منها فإنها قريبة إلى أحوال الجبان الكسلان الذي اقتنع بصلاح نفسه من هداية غيره وانفرد بعزلته عن اجتذاب الخلق إلى ربهم »(٦) .

---

(٦) صيد الخاطر ١٤١ دار الفكر .

وإذا كان ابن الجوزي اكتفى بتسمية من ترك واجب الأمر والنهي بالجبان الكسلان فإن زين العابدين علي بن الحسين يزيد في اتهام هذا الصنف من العباد عندما يقول « التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره »(٧) .

وحق له أن يتهمه بذلك . وهو يسمع آيات الله وأحاديث النبي تدعوه للأمر والنهي وهو يصر على الانزواء وترك الساحة لأصحاب المناكر ليعيثوا في الأرض فساداً .

عبد الحميد البلالي

في ٢٤/صفر سنة ١٤٠٦هـ

٧ نوفمبر سنة ١٩٨٥ م

---

(٧) البداية والنهاية ١١٥/٩ .



المدخـل

أولا :

أقسام النهي عن المنكر

* ما كان من حقوق الله .
* ما كان من حقوق الآدميين .
* ما كان مشتركاً بين الحقين .

أقسام أهل المنكر

* أن يكونوا آحاداً متفرقين .
* أن يكونوا جماعة قد تضافرت عليه .



أقسام النهي عن المنكر وأقسام أهل المنكر

● أقسام النهي عن المنكر :

وقبل أن نخوض في درجات الإنكار وقواعده المتشعبة لابد أن نعرف بصورة موجزة أقسام النهي عن المنكر كما يوردها الماوردي في أحكامه السلطانية ، إذ يقول :

« وأما النهي عن المنكرات فينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أحدهـا ـ ما كان من حقوق الله تعالى .

والثاني ـ ما كان من حقوق الآدميين .

والثالث ـ ما كان مشتركا بين الحقين .

فأما النهي عنها في حقوق الله تعالى فعلى ثلاثة أقسام :

أحدهـا ـ ما تعـلق بالعبادات .

والثاني ـ ما تعلق بالمحظورات .

والثالث ـ ما تعلق بالمعاملات .

فأما المتعلق بالعبادات فكالقاصـد مخالفـة هيئاتهـا المشروعـة والمتعمد تغيير أوصافها المسنونة .

وأما ما يتعلق بالمحظورات ، فكل ما حظره الشرع ، كشرب الخمر والزنى وغيره .

وأما ما يتعلق بالمعاملات ، كالبيوع الفاسدة وما منع الشرع منه مع تراضي المتعاقدين به إذا كان متفقاً على حظره .

وأما ما ينكر من حقوق الآدميين المحضة . فمثل أن يتعدى رجل في حد لجاره أو في حريم لداره أو في وضع أجذاع على جداره ، وملاحظة أهل الصنائع في أمانتهم أو خيانتهم وجودة صناعتهم أو رداءتها وغيرها من الأمور .

وأما ما ينكر من الحقوق المشتركة بين حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين فكالمنع من الإشراف على منازل الناس وملاحظة أهل الذمة بعدم المجاهرة بقولهم في العزير والمسيح ، وملاحظة القضاة فيما يجب عليهم بين الخصوم وكذلك أرباب المواشي والسفن . . الخ »[٨]

وهذا عرض عام لأقسام النهي عن المنكر والتي لا يتم النهي فيها بصورة واحدة وإنما تتعدد درجات الانكار وصوره على حسب درجة الفعل وحالة الفاعل ومنصبه وعدده سواء كان فردا أو جماعة وعلى حسب الظرف المكاني والزماني وغيرها من

---

(٨) الأحكام السلطانية ٢٤٧ إلى ٢٥٧ بتصرف

المتعلقات لذلك كان لابد بالإضافة إلى معرفة أقسام النهي أن تتعرف على أقسام أهل المنكر لكي تزداد صورة فقه الإنكار وضوحاً لمن أراد أن يتصدى لهذا الأمر بهذا الفقه المستخرج من فقه الدعوة .

● أقسام أهل المنكر :

ونطرق باب الإمام الماوردي مرة ثانية بعد أن ذقنا حلاوة كلامه في أقسام النهي ونرى منه كل ترحيب ليحدثنا هذه المرة عن أقسام أهل المنكر ليتصل حديث الأمس بحديث اليوم فيقول :

« لا يخلو حال فاعلي المنكر من أمرين :

أحدهما ـ أن يكونوا آحادا متفرقين ، وأفرادا متبددين ، لم يتحزبوا فيه ولم يتضافروا عليه ، وهم رعية مقهورون ، وأفذاذ مستضعفون ، فلاخلاف بين الناس أن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، مع المكنة وظهور القدرة واجب على من شاهد ذلك من فاعليه وسمعه من قائليه .

الحالة الثانية ـ أن يكون فعل المنكر من جماعة قد تضافرت عليه ، وعصبة قد تحزبت ودعت إليه ، فقد اختلف الناس في وجوب إنكاره على مذاهب شتى ، فقالت طائفة من أصحاب الحديث وأهل الآثار : لايجب انكاره والأولى بالإنسان أن يكون

كافا ممسكاً وملازماً لبيته وادعاً غير منكر ولا مستفز .

وقالت طائفة أخرى ممن يقول بظهور المنتظر :

لا يجب إنكاره ولا التعرض لإزالته إلا أن يظهر المنتظر فيتولى انكاره بنفسه ، ويكونوا حينئذ أعوانه .

وقالت طائفة أخرى منهم الأصم : لا يجوز للناس إنكاره ، إلا أن يجتمعوا على إمام عدل فيجب عليهم الإنكار معه .

وقال جمهور المتكلمين : إنكار ذلك واجب ، والدفع عنه لازم على شروطه ، من وجود أعوان يصلحون له فأما من فقد الأعوان فعلى الإنسان الكف لأن الواحد قد يقتل قبل بلوغ الغرض»[٩] .

● الخلاصة

وخلاصة قول الماوردي بأن المنكر إذا جاء من الآحاد المتفرقين من الرعية والذين لم يتقلدوا ولاية على الآخرين ، فهؤلاء نهيهم عن المنكر مع القدرة واجب عمن رأى ذلك أو سمعه أما إذا جاء المنكر من الجماعة أو الحزب أو الحكومات والأنظمة والتي لها سلطة على الآخرين فإنكار ذلك واجب على قول الجمهور ولكن بشرط

(٩) أدب الدنيا والدين ١٠١ إلى ١٠٣ بتصرف

توفر الجماعة التي تقوم بهذا الأمر ، فلا يستطيع الإنكار على جماعة إلا جماعة مماثلة لها يتوافر في أفرادها صفات ضرورية لإنجاز مهمة الإنكار وإلا فيصبح من الصعب القيام بواجب الإنكار على هؤلاء المتحزبين والداعين لمنكراتهم والمقننين لها بقوانين .

● أقسامهم عند سماع الموعظة :

وإذا كان الإمام الماوردي قد قسم أهل المناكر من الناحية العددية فإن الإمام ابن الجوزي له تقسيم آخر فيمن يسمع الموعظة أو النصيحة وهذا التقسيم وإن كان محدودا في حالة الوعظ والنصيحة إلا أنه من الأهمية بمكان حتى يعلم القائمون على الأمر والنهي أصناف من يعظونهم ودرجات الاستيعاب عند كل منهم في حالة الوعظ ولنصغ لابن الجوزي في هذاالتقسيم إذ يقول « قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة فإذا انفصل في مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة ! فتدبرت السبب في ذلك فعرفته . ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك ، فالحالة العامة أن القلب لا يكون على صفة واحدة من اليقظة عند سماع الموعظة وبعدها لسببين :

أحدهما ـ أن المواعظ كالسياط ، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها ، فايلامها وقت وقوعها .

والثاني ـ أن حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة ، قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا ، وانصت بحضور قلبه فإذا عاد إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها ، وكيف يصح مع تلك الجوانب أن يبقى كما كان وهذه حالة تعم الخلق ، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر .

فمنهم ـ من يعزم بلا تردد ، ويمضي من غير التفات ، فلو توقف بهم ركب الطبع يضجون كما قال حنظلة في نفسه : نافق حنظلة .

ومنهم ـ أقوام يميل بهم الطبع إلى الغفلة أحيانا ، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحيانا ، فهم كالسنبلة تميلها الرياح .

وأقوام ـ لايؤثر عليه إلا بمقدار سماعه ، كماء دحرجته على صفوان»[١٠] .

إذن فإن السبب الذي يراه الإمام ابن الجوزي في التأثر اللحظي عند قطاع كثير من الناس هو آفات الشواغل التي تجذبهم فينتفي بذلك أثر الموعظة ، وعلى ذلك فلابد للدعاة من التركيز على الهدف من خلق الإنسان . وحقيقة الدنيا وما فيها من زينة وفتن

---

(١٠) صيد الخاطر ـ المكتبة العلمية ص ١٢

ومفهوم العبادة التي يريدها الله من الإنسان ويبين حقيقة هذه الجوانب . ولعله بعد ذلك أن يقلل من نسبة أصحاب التأثر اللحظي ويزيد من نسبة العازمين بلا تردد والماضين بلا التفات .

ثانيا :

صفات المنكرين

* الحكمة
* الصبر
* معرفة الله وتعلم العلم
* الاخلاص
* القدوة
* التواضع
* حسن الاستماع
* الحاكم والرفق



صفات المنكرين

مقدمة :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو جوهر العبادة ، حيث أن التعريف الشامل للعبادة هي كل ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال ، وبالتالي فهي الهدف الذي خلق الله الانسان من أجله ، وهي الأمانة التي عجزت السموات والأرض والجبال عن حملها وحملها الانسان . ولا شك أن هذا الانسان الذي حمل هذه الأمانة التي ثقلت على هذه المخلوقات العظيمة فأبين أن يحملنها ، لا شك أن فيه صفات أهلته لهذا الشرف العظيم ، وبغير هذه الصفات يصبح من الصعب أن يكون من رواد حمل هذه الأمانة ، وإن فقد أحدها فانه يتعذر عليه مواصلة الطريق . ولا بد لهذه النوعية من الرواد أن يتحلوا بكل الصفات الحسنة التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لأنهم لا يمكن أن يؤثروا بالآخرين حتى يتحولوا إلى مصاحف تتحرك بين الناس ، ولكن أبرز هذه الصفات التي يجب أن تكون فيهم ، الحكمة والصبر ومعرفة الله وتعلم العلم والاخلاص والقدوة والتواضع وحسن الاستماع والحلم والرفق .

١) الحكمة . .

وهي صفة ضرورية فيمن يتصدى لهذا الأمر ، لذلك قال تعالى في كتابه الكريم « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ » (النحل ١٢٥) .

يقول سيد رحمه الله « إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله ، لا لشخص الداعي ولا لقومه . فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله ، لا فضل له يتحدث به ، لا على الدعوة ، ولا على من يهتدون به ، وأجره بعد ذلك على الله » .

والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها . فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه[١١] .

وليس من الحكمة استخدام اسلوب واحد في النهي والأمر مع الكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، والمثقف والجاهل ، والأمير والحقير ، والغضوب والهادىء ، بل لا بد من تنويع أسلوب المخاطبة بما يناسب السن والثقافة والطبيعة النفسية والمركز

---

(١١) الظلال ٤ / ٢٢٠٢

الاجتماعي لكل فرد .

ولا شك أن من يؤتى الحكمة في الإنكار على هذا النحو ، فقد أوتي خيرا كثيراً ، يقول تعالى ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[١٢] .

*) التنقية من الدغل . .

إن هذه الحكمة لا يمكن أن تعطي لصاحب قلب غافل عن ذكر الله قد تعلق قلبه بمن دونه من أمراض الدنيا كالنساء والأموال والدواب والأبناء والعقار وغيرها من زينة الحياة الدنيا ، ولا يمكن لصاحب قلب لم يتفكر بأسماء الله ، وصفاته ، وعظيم مخلوقاته ، ولا يمكن أن تعطي لصاحب قلب قد جعل عمله مخلوطا ، شيئا لله ، وشيئا لغير الله ، هذا ما جعل الامام ابن القيم يقول « اذا غذي القلب بالتذكر ، وسقي بالتفكر ، ونقي من الدغل ، رأى العجائب ، وألهم الحكمة »[١٣] .

ينقيه من الدغل ، ويجعله صافيا لله وحده ، حينها يصب الله في هذا القلب الحكمة فإنها لا تستقر في قلب قد علقت واستقرت فيه شوائب الدنيا .

---

(١٢) البقرة ٢٦٩

(١٣) الفوائد ١٢٨ ـ النفائس

٢) الصبر . .

الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يواجه معارضة ممن يأمرهم أو ينهاهم ، ذلك لأنه ينهاهم عن أمر يخالف أهواءهم وما اعتادوا عليه ، وصور المعارضة من أصحاب المنكر متعددة . فإما أن تكون على صورة ضرب وإيذاء وإما أن تكون على صورة قتل ، أو على صورة اتهام باطل ، أو على صورة سب وشتيمة ، أو على صورة طرد ، أو على صورة سلب للمتملكات وغيرها من الصور الكثيرة، ومن عاهد الله أن يكون جندياً من جنوده وحزبه ؛ وأخذ على عاتقه دعوة الناس لهذا الخير فلابد أن يتحمل أذاهم وهذا ما أمر به الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال له : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[١٤] .

وهكذا ربي النبي ﷺ صحابته الكرام على الصبر عندما يدعون الناس فهذا أحدهم وهو وهب بن منبه رضي الله عنه يقول : « من خالط الناس فورع وصبر على أذاهم كان أفضل عندي »[١٥] .

وجاء في ترجمة عمير بن حبيب بن حماسة الصحابي الجليل ، وصيته لبنيه يعلمهم فيها هذا الأصل الكبير من أصول الدعوة

---

(١٤) المزمل ١٠

(١٥) الزهد لأحمد ٣٧٢

إلى الله إذ يقول لهم : إذا أراد أحدكم ان يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر وعلى الأذى وليوقن بالثواب من الله فانه من يثق بالثواب من الله لا يجد مس الأذى »[16] .

فالذي ينسى الأجر العظيم الذي يسوقه الله إليه عند البلاء هو الذي يشعر بألم الأذى أما من وثق بالأجر من عند الله فإن البلاء يتحول عنده إلى شهد يستلذ طعمه الطيب فيقول كما قال بلال والسياط تقطع ظهره « أحد .. أحد » أو يقول كما قال عثمان بن مظعون عندما قلعوا عينه حينما اعترض على قول لبيد « وكل نعيم لا محالة زائل » عندها نظر إليه الوليد بن المغيرة وكان عثمان في جواره ، ثم رده عليه ، فقال له الوليد « أما والله : يا ابن اخي ان كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة ، فقال عثمان : بلى والله : إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب اختها في الله » ثم انشأ يقول :

« فان تك عيني في رضى الرب نالها
يدا ملحد في الدين ليس بمهتد
فقد عوض الرحمن منها ثوابه
ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد»[17]

---

(١٦) الزهد لاحمد ١٨٦
(١٧) الحلية ج ١/ ١٠٣ .

بهذا كانوا يستلذون البلاء الذي يلاقونه في سبيل الله . وهذا ما أراد الصحابي الجليل عمير بن حبيب أن يوصله في نفوس أبنائه قبل أن يقذفهم في خضم المجتمع يأمرون وينهون .

٣) معرفة الله وتعلم العلم . .

○ الصياد والشبكة .

الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا وهو الذي أمرنا بالقيام بواجب الأمر والنهي ، ولا يتم هذا الامر حتى تتم المحبة بين الخالق والمخلوق ، ولا تتم المحبة حتى تزداد المعرفة بهذا الخالق وبالطريق التي دل عليها ، المعرفة بأسمائه وصفاته وذكره على كل حال ، ومعرفة ما في كتابه الكريم من أوامر ونواهي ومعرفة ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم ، وبهذا يسهل عليه تعريف الناس بهذا الاله الذي يعرفه ، فكلما عرفه وتعمق بمعرفته سهل عليه اجتذاب الناس ، وعلى مقدار المعرفة بالله تزداد أعداد المهتدين أو تنقص على يديه ، هذاما بينه الإمام الجيلاني حين قال : « من كملت معرفته لله عز وجل ، صار دالا عليه ، يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا »[١٨] .

---

(١٨) الفتح الرباني ص ٩٥

أما من جهله ، فيصعب عليه أن يجذب الخلق إليه ويكون شبكة يصطادهم فيها فتنعدم وسيلة الانقاذ عنده وهو يرى الغرقى في بحر الدنيا ، يريد إنقاذهم فلا يستطيع لأنه جاهل بالله فهو كالأعمى الذي يريد أن يكون قائدا لمن ضلوا الطريق فأني يوصلهم إلى بر الأمان ؟!

هذا الصنف من الدعاة تجعل الامام الجيلاني يغضب ، وتجعله يقول لأحدهم دون مداراة « انت أعمى كيف تقود غيرك ، إنما يقود الناس البصير ، ، إنما يخلصهم من البحر السامح المحمود ، إنما يرد الناس إلى الله عز وجل من عرفه ، أما من جهله كيف يدل عليه ؟ »[١٩] .

* علم لا بد منه . .

وهناك ألوان من العلم لا بد لمن تصدى لعملية الأمر والإنكار أن يلم بها ، يوجزها الإمام ابن الجوزي فيقول « فينبغي للواعظ أن يكون حافظاً لحديث رسول الله ، عارفاً لأخبار الزهاد ، فقيها في دين الله ، عالما بالعربية واللغة ، فصيح اللسان . ومدار

---

(١٩) الفتح الرباني ص ١١

ذلك كله على تقوى الله عز وجل ـ وأنه بقدر تقواه يقع كلامه في القلوب »[٢٠] .

ولا يعني هذا أن من لا يملك هذه العلوم أو جزءا منها فـإنه يتوقف عن الإنكار بل إن الأمر كما ذكره الإمام النووي « يختلف باختلاف الشيء ، فان كان من الواجبات الظاهرة والمحـرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بهـا ، وإن كان من دقـائق الأفعـال والأقـوال ومما يتعلق بالاجتهاد ، لم يكن للعـوام مدخـل فيه ولا لهم إنكـار بل ذلـك للعلماء »[٢١] .

والأصل في كل هذه العلوم ، التقوى والإخلاص ، فلعله لا يملك بعض هذه العلوم ، فلم يكن فصيحا أو عـالما بالتواريخ أو بالفقه ، لكنه كان تقيا مخلصا ، فإن كلماته تنصب من فمه إلى قلوب المستمعين ، وذلك ما أكده ابن الجـوزي في موضـع آخر حين قال : « ثم يصحح قصده ، فإنه إذا صح قصده صـرف الله القلوب اليه »[٢٢] .

---

(٢٠) كتاب القصص ص ١٨٠
(٢١) شرح مسلم للنوري ٢/ ٢٣
(٢٢) كتاب القصاص ص ١٨٠)

* ضرورة معرفة أنواع الحكم التكليفي . .
وافعال الرسول ﷺ

إن مما يؤلم أن يرى المرء إعراضا من قطاع كبير من الناس عن الدعوة إلى الله ومن الاستماع إلى كلمة الحق . ويرى كراهية منهم لاتباع هذا الحق . تشعر بها من خلال مواقفهم ، وأحاديثهم ، وإذا تتبعنا السبب لعرفنا أن تلك الكراهية وذلك الإعراض والنفور كان بسبب مصادفتهم لبعض النوعيات من الدعاة المتحمسين لدينهم ، والمشفقين على حال الأمة وما وصله اليه من التردي ، ولكنهم لا يعرفون إلا الحلال والحرام ، أو إنهم يخلطون أقوال الرسول وأفعاله ، ولا يفرقون بين أنواع الأقوال والأفعال ، فكل من ترك مباحا أو مستحبا كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم يجعلونه من المنكر الذي يجادلون الناس عليه ، وترتفع الأصوات وتحمر الأوجه . وتنتفخ الأوداج ، وربما تدخلت ا لأيادي بسبب ما يعتقدونه أن ذلك من المنكر الواجب إنكاره ومن المعروف الذي يجب مخاصمة الناس من أجل نشره .

فلا بد للمتصدر لأمر الدعوة أن يفقه أنواع الحكم التكليفي وأنواع افعال الرسول ﷺ حتى يعرف ما ينكر على الناس وما يغض الطرف عنه ، وحتى لا يشق على الناس ، ويحملهم اكثر مما يطيقون فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى الصحابة

رضي الله عنهم بقولـه « بشـروا ولا تنفـروا ويسـروا ولا تعسروا . . »[23] .

أولا : أنواع الحكم التكليفي . .

١ ـ الايجاب

وهـو طلب الفعل عـلى وجه الحتم والإلـزام ، كقولـه تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[24] وقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ . . ﴾[25] وقـول الـرسـول ﷺ « خمس صلوات افترضهن الله على العباد »[26] وغيرهـا من أدلة الإيجاب .

٢ ـ التحريم

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الحتم والإلزام ، كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾[27] وقوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ

---

(٢٣) متفق عليه

(٢٤) البقرة ١٨٣

(٢٥) البقرة ٤٣ .

(٢٦) صحيح أبي داود ٤٥١

(٢٧) الأسراء ٣٢

وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ . ﴾[٢٨] وقوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الأوثان »[٢٩] .

٣ ـ الاستحباب

طلب الفعل لا على سبيل الحتم والإلزام ، ولا يأثم تاركه مطلقاً .

٤ ـ الكراهة

هي طلب الترك لا على سبيل الحتم والإلزام . ومن علاماتها أن يضع الشرع ثوابا للترك ولا يضع عقابا على الفعل كقول النبي ﷺ « أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا . »[٣٠] .

أو أن يكون مع النهي قرينة تصرفه عن الوجوب ، ومثاله الحديث الذي ينهي عن الحديث بعد العشاء ، ثم الحديث الذي يذكر حديث النبي ﷺ بعد العشاء .

---

(٢٨) المائدة ٣
(٢٩) الحج ٣٠
(٣٠) ابو داود (٤٨٠٠) وحسنه الألباني ص ج ص ١٤٧٧

٥ ـ الاباحة . .

هي التخيير بين الفعل والترك ، ومن علاماتها ورود الدليل برفع الإثم والثواب في كلتا الحالتين ، الفعل والترك، وكالاتيان بلفظ « لا جناح عليكم » ، وقد ينقلب المباح إلى مستحب أو واجب أو حرام أو غير ذلك باختلاف النيات .

ثانيا ـ أفعال النبي ﷺ

فلا بد من معرفة دقيقة لأفعال النبي ﷺ ، ومعرفة حكم كل منها ، فما كان في دائرة المباح أو المستحب فلا إنكار في تركه ، وما كان في دائرة المكروه فلا إنكار في فعله ، ولا مانع من الترغيب في تركه نظراً لما يترتب على تركه من الأجر ، وعدم ترتب شيء من الاثم في فعله .

فليس من فقه الإنكار ، وليس مما طلبه الشرع منا النهي عن نوع أو طريقة في اللباس ما لم يثبت تحريمه بدليل صحيح ، كالإنكار على لابس البنطال ، أو كإلزام الناس بلبس الإزار والقميص التي كان يلبسها الرسول ﷺ ، او لبس العمامة ، فهذه الأمور هي من « الأفعال العادية » التي فعلها الرسول ﷺ جريا على عادة قومه ومألوفهم ، وحكمها الإباحة ، ما لم تقترن بقرينة قولية تصرفها عن الإباحة ، فليس لأحد أن ينكر على من لا يعمل بها .

وكذلك الذي ينكر على الآخرين لبسهم للساعات في اليد اليسرى، ويستشهد بأن النبي ﷺ كان يحب التيامن في كل شيء وأنه ﷺ كان يتخذ خاتما في يمينه ، ومع أن الخاتم يختلف عن الساعة ، ووضع الساعة بالشمال لأسباب لا تخفي على الكثير منها مداومة استخدام اليمين في الأعمال فيكون من الأسهل وضعها في الشمال ، وكون النبي ﷺ لبس الخاتم باليمين فإنه لم يأمر به ، ولم يدل الفعل على كونه مقصوداً في العبادة ، فيخرج بذلك من الوجوب ، وأقرب ما يكون من « الفعل العادي » ، أما التيامن فيعني به تقديم اليمين على الشمال ، كتقديم الرجل اليمين على الشمال في دخول البيوت والمساجد والأماكن الطيبة ، وكاللبس ببدأ اليد اليمنى قبل اليسرى ، وكالأكل باليمين لورود الدليل القولي بذلك ، وبسبب ما تسببه اليد اليسرى عند الأكل من مضار ، ذلك لأنها تستخدم في الاستنجاء ، وإذن لم يكن المقصود بالتيامن عدم استخدام الشمال في شيء وإلا لتعطلت بسبب هذا الفهم الخاطىء .

٤) الاخلاص . .

وليس ابن الجوزي هو وحده الذي انتبه إلى أن الإخلاص هو أحد أكبر الاسباب لإقبال الناس على من يدعو إلى الله بل ، أدرك هذا الأمر الشيخ ابن النحاس عندما قال :

« من أخلص لله النية أثر كلامه في القلوب القاسية فلينها ، وفي الألسن الذربة فقيدها وفي أيدي السلطة فعقلها »[٣١] .

* النائحة الثكلى والمستأجرة . .

ويتعجب ذر لظاهرة قد لاحظها في مجالس أبيه الزاهد عمرو بن ذر ولم يجد لها تفسيراً ، والذي زاد من عجبه أنه إذا حضر مجالس الشيوخ الآخرين تتلاشى هذه الظاهرة ، مما دفعه لأن يسأل أباه عنها « ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد ، فإذا تكلمت أنت سمع البكاء من هاهنا وها هنا ؟!

قال : يا بني ليس النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى »[٣٢] .

فالواعد الذي يأخذ اجرا مقابل موعظته وأمره وإنكاره لا يمكن أن يتساوى مع من اتخذ هذا الأمر واجبا من واجباته وجزءا من حياته لا يستطيع العيش بغيره وهو يرى الجهل المتفشي في أمته ، ويرى تسلط الشيطان في رقاب قومه ، وتجبر الطغاة واتباعهم على أهل الحق ، ومحاربتهم لمنهج الله واتباعه وهو يرى الدماء الزكية تراق في كل بقاع الإسلام على أيدي الطغاة فنرى قلبه يغلي كالمرجل ودموعه تنهمر كالشلال كمدا على ما يرى مما

---

(٣١) تنبيه الغافلين ٥٦

(٣٢) الزهد لأحمد ٣٥٧

يصنع بدين الله واتباعه ، فتخرج كلماتـه من اعماق قلبـه ومن زفرات صدره ومن دموع عينيه لتصل إلى قلوب السامعين فتهزها هزا عنيفا ، تجعل السامع مشدوها لروعة العبارات الخارجة من ذلك الداعي ، وصدق عمرو بن ذر عندما قال « ليس النائحـة المستأجرة كالنائحة الثكلى » . وقد ورد عن سفيان الثوري قولـه « وإني لأرى الشيء يجب عـلي أن آمـر فيـه وانهي فـأبـول دماء »[٣٣] .

* من أخلاق المنافقين . .

وإذا لم يكن السبب الذي ذكره عمـرو بن ذر لابنه عن تلك الظاهرة التي لاحظها في مجالس وعظه كافية لفهمها ، فان الزاهد عوف الأعرابي يذكر سببا آخر يزيد هذه الظاهرة وضوحا ، سببا يتصل بصاحب الإنكار عندما يتسلل الشيطان إلى نفسه فيجعله يعجب بمنطقه وعباراته وبمـواقفه في الإنكـار على أهـل المنكر ، ويتجمـع الناس وكثـرتهم في مجالس وعـظه فيغريـه بحب الثناء والمدح وكراهية الانتقاد ، لأنـه يحسب أنه قـد وصل إلى رتـبـة الكمال . هذا الشعور الشيطاني هو أحد أكبر العوائق لعدم تأثر السامع للمتكلم ذلك لأنه شعور شيطاني ويصنفه عوف الأعرابي

(٣٣) الجرح والتعديل ١ / ١٣٤

من اخلاق المنافقين عندما قال : « من اخلاق المنافق أن يحب الحمد ، ويكره الذم »[٣٤] .

* اجتماع الماء والنار . .

والإمام ابن القيم يجعل اجتماع الإخلاص وحب المدح والثناء من المستحيل، ويشبهه كاجتماع الماء والنار إذ يقول «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت . فاذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص ، فاقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين اليأس ، واقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فاذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الاخلاص »[٣٥] .

* الشهيد المزور . .

ومن بعد ابن القيم يأتي ابن النحاس ليؤكد على خطورة هذا المرض بين صفوف الدعاة إلى الله خاصة لمن أنكر على أصحاب

---

(٣٤) الزهد لأحمد ٣٧٣

(٣٥) الفوائد ١٩٥ ، ١٩٦

السلطان . فيقول : « الداخل على الأمير أو السلطان بقصد الإنكار والموعظة يجب أن يكون قصده في ذلك خالصا لله تعالى ، فإنه قد يقدم على هذا وإنما قصده أن يكون كلامه سببا لتعرفه بالسلطان ، وطلب المنزلة عنده ، أو يكون قصده طلب المحمدة من الناس وإطلاق ألسنتهم بالثناء عليه ، والشكر لصنيعه وتعمير قلوبهم بتوقيره عندهم وتعظيمه، وأن يقال عنه إنه أغلظ السلطان ، وأقدم عليه بالكلام ، ولم يبال فيصير معظما بين الناس ويخشاه أبناء جنسه . إلى غير ذلك من المقاصد التي لا تنحصر لتنوع الأغراض ، وهذه مزلة عظيمة ، يجب التفطن لها ، والتنبيه عليها . وتحقيق القصد قبل الوقوع فيها ، وإلا فربما ناله مكروه في الدنيا، وهو فيه غير مأجور بل آثم مأزور، وربما أفضى ذلك إلى قتله فقتل عاصيا ، وهو يظن أنه أفضل الشهداء » [٣٦] .

فلا بد من تصحيح القصد ، وإخلاص النية قبل أي عملية من عمليات الإنكار ، وأمر آخر يجب التنبيه عليه وهو ألا يسيطر هذا الشعورعلى بعض الدعاة ليمنعهم من إنكار المنكر ، فيكونون بذلك فريسة سهلة لخدعة جديدة من حيل إبليس .

---

(٣٦) تنبيه الغافلين ٦٢

٥) القدوة . .

وهو ركن لا تتم عملية الإنكـار ، ولا تؤتي ثمارهـا إلا به ، وقد تكون الأفعال أكثر أثراً من الأقوال في كثـير من الحالات ، وإنكـار وموعـظة لايلتزم صـاحبها بهـا تؤدي إلى شـر عـظيم ، وتؤدي إلى فتنـة السامـع وعدم اقتنـاعه بصحـة ما يقـوله ذلـك الداعية ، لذلك يقول الحسن البصري : « عظ الناس بفعلك ، ولا تعظهم بقولك »(٣٧) .

وحتى يؤدي التأثير حقه عند عملية الإنكار لا بـد للمنكر أن يبدأ بنفسه قبل نصيحته للآخرين ، هذا ما يبينه الحسن البصري في مـوضع آخـر إذ يقول : « الـواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقـوله ، وكـان ذلك شـأنه اذا أراد ان يـأمر بشيء بـدأ بنفسـه ففعله ، واذا أراد أن ينهي في شيء انتهى عنه »(٣٨) .

ولا يكفي الأخذ اليســير بالأمر الذي يريد أن يأمر به أو ينهى عنته ، ولكنه مطلوب منه أن يكون أكثر الناس اخذا بالأمر الذي يدعو إليه . حتى لا يدخل ضمن من مقتهم الله سبحانه وتعالى عند قوله : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٣٩).

---

(٣٧) الزهد لأحمد ٢٧٣

(٣٨) الحسن البصري ٨٧

(٣٩) الصف ٣

وربما هذا هو الهلاك الذي أشار إليه الحسن عندما قال : إذا كنت آمرا بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت ، واذا كنت ممن ينهي عن المنكر فكن من أنكر الناس له والا هلكت »[٤٠] .

إن قدرة الداعية على تربية نفسه هي التي تؤهله على تربية الآخرين ، وإن قدرته على الإنكار على نفسه هي التي تزيد من قدرته بالإنكار على الآخرين ، وصدق الجيلاني عندما قال : « إذا كنت منكراً على نفسك قدرت على الإنكار على غيرك »[٤١] .

فمن أسرته نفسه ، وأصبح عبدا لهواه فلا يمكن أن ينكر على الآخرين » .

---

(٤٠) الزهد لأحمد ٢٦٠

(٤١) الفتح الرباني ٤٣

٦) التواضع . .

فكما أن لزيادة المال تأثيراً على بعض النفوس ، يجعلها تطغى ، وتتعالى على الخلق ، وتسبب في بعض الحالات سقوط بعض الدعاة ممن ابتلوا بهذه الفتنة ، كذلك للعلم تأثير على بعض النفوس تجعلها تتكبر وتتعالى على الخلق، اعجاباً بما يرى ما لديه من علم يتميز به بين قرنائه في الدعوة ، أو يتميز به عمن يأمرهم وينكر عليهم ، لذلك حذر وهب بن منبه من هذا الأمر عندما ذكر « إن للعلم طغياناً كطغيان المال »[٤٢] .

والتواضع قد يختلف في تعريفه ومعناه الكثير ، فمنهم من يرى أن التواضع يختص في اللباس ، وآخر يرى أنه يختص في ما يركب المرء من الدواب ، وآخر يرى هذا ويضيف اليه كثير وهكذا . .

في المسكن ، وغيرها من التعريفات ، وقد حدث مثل هذا الاختلاف في تعريف التواضع في مجلس الحسن البصري وهو ساكت « حتى إذا اكثروا عليه قال لهم اراكم قد اكثرتم الكلام في التواضع. قالوا : أي شيء التواضع يا أبا سعيد ؟ قال :

---

(٤٢) الزهد لاحمد ٣٧٢

يخرج من بيته فلا يلقى مسلما إلا ظن أنه خير منه »[٤٣] .

وهذا ناتج من خوفه من الجليل بعدم تقبله لعمله . ومحاسبته الدائمة لنفسه مما يؤدي إلى عدم اغتراره بأي عمل يقوم به فيظن أن كل من يراه من المسلمين خير منه، وهذا نوع من النزول. ولكن نزول يحبه الله ، نزول يزداد به عزة بين الناس . ويزداد به درجة عند الله سبحانه وتعالى ، هذا ما نراه في مدخل ابن الحاج عندما أخبرنا بأن من « أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى ، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول . إلا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها ، فكأن سائلا سأله ما صعد بك هنا ـ أعني في رأس الشجرة ، وأنت قد نزلت تحت أصلها ؟؟ فكأن لسان حاله يقول : من تواضع لله رفعه»[٤٤] .

فلا بد لمن أراد أن ينجح في عملية الإنكار أن يتحلى بهذه الصفة . وألا يظهر الأستاذية حينما يأمر أو ينهي ، فإن إظهار العلم . والتحدث من برج عاجي ينفر الناس من قبول النصيحة .

---

(٤٣) الزهد لأحمد ٢٧٩ .

(٤٤) المدخل لابن الحاج ١٢٢/٢ .

٧) حسن الاستماع . .

عندما بعثت قريش عتبة بن ربيعة للرسول ﷺ ليعرض عليه بعض الأمـور ليكف بزعمهم عـن أذاهم . جـاء للرسول ﷺ وقال له :

« يا بن أخي إن كنت إنما تريد به شرفاً سـودناك علينـا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك . طلبنا لك الطب . وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قـال ـ حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي ﷺ « افرغت يـا أبـا الـوليد ؟ » قـال : نعم اسمع مني قال : افعل .

فقال رسول الله ﷺ ﴿ حـمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى آخر القصة(٤٥) .

والذي يهمنا من هـذا الحوار مـلاحظة خلق النبي صـلى الله عليه وسلم وهو يصغي لأبي الوليد ، مع أنه يعلم علما يقينيا بان مـا يهذي بـه عتبة بـاطـل مـركب ، واتهـام في غـير محله ، من

---

(٤٥) البداية والنهاية ٢ / ٦٣ .

حب للسلطة والملك والمال . ومن اتهام بالمس الشيطاني . . ومع ذلك يستمع إليه دون أن يقاطعه ، ويتركه يكمل لآخر كلمة يريد أن يقولها . ومبالغة بحسن الإنصات يقول له قبل أن يتكلم هو « افرغت يا أبا الوليد ؟ » .

ما أحوج الدعاة لهذا الخلق حين يمارسون عملية الإنكار . فيستمعون للخصم ، وللساذج وللمغفل وللمفتون . وحتى من الكافر الملحد . وربما ظهر اثناء الحديث من سقط الكلام ورديئه ما يظهر . فلا يكن هذا داعياً للمقاطعة . بل لا بد من الاستماع حتى النهاية ، واستمع إلى ابن المقفع حينما يقول لك : « تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه ، وقلة التلفت إلى الجواب ، والإقبال بالوجه ، والنظر إلى المتكلم ، والوعي لما يقول .

واعلم فيما تكلم به صاحبك أن مما يهجن صواب ما يأتي به . ويذهب بطعمه وبهجته . ويزري به في قبوله ، عجلتك بذلك ، وقطعك حديث الرجل قبل أن يفضي اليك بذات نفسه »[٤٦] .

---

(٤٦) الأدب الكبير ص ١١٩ .

٨) الحلم والرفق (٤٦) (أ)

---

(٤٦) (أ) ذكرته مفصلا في الكتاب الأول من المصفى من صفات الدعاة .

ثالثا :

قيود الانكار باليد

* القيد الأول : تعذر الإنكار بغيره
* القيد الثاني : غلبة الظن بإحداث منكر أشد منه .
* القيد الثالث : توفر القدرة



قيود الانكار باليد

قال رسول الله ﷺ : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[٤٧] .

قال القاضي عياض رحمه الله « هذا الحديث أصل في صفة التغيير ، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا فيكسر آلات الباطل ، ويريق المنكر بنفسه ، أو يأمر من يفعله . وينزع الغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إذا أمكنه ، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل . وبذي العزة الظالم المخوف شره إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله ، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل . . ـ ثم يقول ـ فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرا أشد منه ، من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده ، واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف . فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان

---

(٤٧) رواه مسلم ٧٨ كتاب الايمان ـ عن أبي سعيد .

في سعة وهذا هو المراد بالحديث »[٤٨] .

ويقول ابن مفلح « وله كسر آلة اللهو ، وصور الخيال ، ودف الصنوج ، وشق وعاء الخمر ، وكسر دنه ، إن تعذر الإنكار دونه »[٤٩] . ولو أضفنا كلام ابن مفلح إلى ما ذكره القاضي عياض لتجمع لدينا بعض القيود التي تقيد الإنكار باليد .

* القيد الأول :

ما ذكره ابن مفلح وهو تعذر الإنكار بغيره ، كأن يكون صاحب المنكر قد استنفذ معه أسلوب النصيحة المباشرة وغير المباشرة ، والرفق ، واللين ، والتخويف والترغيب ، والحكمة والموعظة الحسنة ومع ذلك بقي مصرا على منكره وعلم أن المنكر الذي يقوم به لا يزال إلا باليد بعد تعذر الإنكار بغيرها ، تستخدم حينئذ اليد في التغيير ولكن قبل الإقدام على استخدام هذا الأسلوب لابد من التقيد بالقيد الثاني .

* القيد الثاني :

وهو ما ذكره القاضي عياض ، بأن يغلب على ظنه أن تغييره بيده سيسبب منكرا أشد منه ، من قتله أو قتل غيره . ويزيد في

---

(٤٨) شرح مسلم للنووي ٢/ ٢٥ .
(٤٩) الآداب الشرعية ١/ ٢١٩ .

ذلك تفصيلا الإمام ابن قدامه ، إذ يقول : « فمن غلب على ظنه أنه يصيبه مكروه . لم يجب عليه الإنكار ، وإن غلب على ظنه أنه لا يصيبه وجب ، ولا اعتبار بحالة الجبان ولا بالشجاع المتهور ، بل الاعتبار بالمعتدل الطبع السليم المزاج . ونعني بالمكروه : الضرب أو القتل وكذلك نهب المال ، والإشهار في البلد مع تسويد الوجه ، فأما السب والشتم ، فليس بعذر في السكوت ، لأن الأمر بالمعروف يلقى ذلك بالغالب »(٥٠) .

وإذا لم يترتب على إنكاره باليد مكروه كالقتل والضرب ونهب المال وغيره من أنواع المكروه ، بكونه من أصحاب النفوذ والسلطان فلابد ألا يغيب عنه فتنة العوام وتأويلهم المعوج لإنكاره باليد ، لهذا امتنع النبي ﷺ من قتل أو عقاب عبدالله بن أبي ، كي لا يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه فيسبب بذلك نفور الناس من الدخول بالإسلام . وامتناعه أيضا من هدم الكعبة وإعادة بنائها على أسس ابراهيم لخوفه من تأويل العوام بأنه لا يقدر الأماكن المقدسة . وذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي اللهعنها قالت قال لي رسول الله ﷺ « لولا حداثة عهد قومك بالكفر ، لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس

---

(٥٠) مختصر منهاج القاصدين ١٣٢ ، ١٣٣ .

ابـراهيم فـإن قـريشـا حـــين بنت استقصـرت . ولجعلت لهـــا خلفا »[٥١] .

يقـول الإمام النـووي « في هذا الحـديث دليل لقـواعـد من الأحكام منها ، إذا تعارضت المصالـح ، أو تعارضت مصلحـة ومفسدة . وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة . بدىء بالأهم . لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنـة بعض من أسلم قريبـا ، وذلك لما كانـوا يعتقـدونـه من فضـل الكعبـة . فيـرون تغييـرهـا عـظيـــما . . فتركها ﷺ »[٥٢] .

● المهدي ونعال الرسول ﷺ . .

ومن صور فطنة بعض القادرين على تغيير المنكر بأيديهم من أصحاب السلطات ما يترتب على إنكارهم من المناكـر التي هي أعظم من المنكر الذي يريدون تغييره ، ما جاء في كتاب المصباح

---

(٥١) مسلم ١٣٣٣ كتاب الحج .

(٥٢) شرح مسلم للنووي ٩/٨٩ ـ دار الفكر .

المضيء إن المهدي قد قعد للناس يوما « فـدخل رجـل وفي يده نعل في منديل . فقال : يا أمير المؤمنين ، نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك . فقال : هاتها ، فدفعها إلي فقبل باطنها ووضعها عـلى عينـه ، وأمـر للرجـل بعشـرة آلاف درهم . فلما أخـذهـا وانصرف قال لجلسـائه : أتـرون أني لم أعلم أن رسول الله ﷺ وآلـه لم يرهـا ، فضلا عن أن يكـون لبسها ، ولـو كذبنـاه لقال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله فردها علي ، وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره ، حتى إذا كان من شأن العامة الميل إلى إشكالها ، والنصرة للضعيف على القوي ، فاشتـرينا لسـانه ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح »[٥٣] .

● القيد الثالث . .

ولابد من توفر القدرة وهي مدى سلطان صاحب الإنكار على مقترف المنكر . . يذكر الأستـاذ عبدالكـريم زيدان في معـرض حديثه عن قواعد التبليغ بالعمل ما في القاعدة الأولى « أن تكون عند المزيل القدرة الكافية على هذه الإزالـة ولا شك في تفـاوت الـدعاة في هـذه القدرة وأعـظمهم قـدرةالأمـير ، أي من بيـده

---

(٥٣) المصباح المضيء ١/ ٤٢٠ .

السلطة والأمر والنهي ، ولهذا فهو مسؤول أكثر من غيره عن إزالة المنكر في بيته ، لأنه مسلط شرعا على هذه الإزالة وله الولاية على بيته فيكون قادرا على الإزالة ، وبالتالي تجب عليه ، إلا إذا عارضها معارض شرعي في بعض جزئيات المنكر من جهة ما قد عسى أن يترتب على إزالة هذه الجزئية من مفاسد أكبر من المصالح »(٥٤) .

ففي الأمور العامة للدولة والنظم والقوانين ، صاحب السلطان فيها هو الأمير، والآباء هم أصحاب السلطان في بيوتهم على زوجاتهم وأبنائهم فلهم أن يغيروا المنكر بأيديهم إذا لم ينفع غيره مع الزوجة والأبناء ، ولكنك لا تملك هذا السلطان على أقاربك وجيرانك وسائر عوام الناس ، فليس للداعية أن يستخدم يده فيما ليس له سلطان .

جاء صاحب الإمام أحمد المروزي يشكي له جاره الذي يؤذيه ببعض المناكر . فقال له الإمام أحمد « تأمره بينك وبينه ، فقال المروزي : قد تقدمت إليه مرارا فكأنه يمحل ، فقال : أي شيء عليك ، إنما هو على نفسه ، أنكر بقلبك ودعه »(٥٥) .

---

(٥٤) أصول الدعوة ٤٦٥ .

(٥٥) الآداب الشرعية ١/٢١٨ .

فهذه هي حدود الداعية فيمن ليس لـه عليهم سلطان ، أن يأمرهم وينهاهم بلسانه أو بقلبه ، أما إذا زالت هذه القيود الثلاثة فلابد عليه أن ينكر بيده .

● الإنكار باللسان . . .

وهـذه الدرجـة هي التي ينتقل إليهـا الداعيـة إذا لم يستـطع الإنكار باليـد ، وللعامـل بها آداب لابـد من التحلي بهـا ذكرنـا بعضها ولها قواعد سنتناولها في موضع آخر ، وإذا خاف الضـرر من استخدام لسانه انتقل إلى الإنكار بقلبه .

● الإنكار بالقلب . . .

والإنكـار بالقلب معنـاه كراهيـة المنكـر ، كـما قـال المنـاوي « فبقلبه ـ ينكره وجوبا بأن يكرهه به ويعزم أنه لو قدر بقـول أو فعـل فعل ، وهـذا واجب عينا عـلى كل أحـد بخـلاف الـذي قبله »[٥٦] .

ومن صور كراهية المنكر ، عدم البقاء في المكان الذي يرتكب فيه ، أو البقاء مع من يقومون فيه ، أو إظهار السرور والرضى عند فعله ، بل لابد من مغادرة المكان ومفارقة مرتكبيه ، وإظهار الغضب وعدم الرضى من فعله .

---

(٥٦) فيض القدير ٦/١٣١ .



رابعا :

خطوات الانكار

* الخطوة الأولى ـ التعريف
* الخطوة الثانية ـ الوعظ
* الخطوة الثالثة ـ التعنيف
* الخطوة الرابعة ـ اليد
* الخطوة الخامسة ـ التهديد
* الخطوة السادسة ـ الضرب
* حالات الإعفاء من الإنكار

خطوات الانكار

ولقد ذكر بعض العلماء خطوات الإنكار والتدرج فيه ، وعاملوا بذلك صاحب المنكر كأنه طفل . والطفل قبل أن يطلب منه القراءة . لابد أن يعلم الحروف بأساليب تحبب إليه القراءة والكتابة ، حتى لا ينفر من العلم ، وكذلك صاحب المنكر لابد من معاملته على أنه مريض وجاهل فلابد من مداراته وأخذ الخطوات المتأنية المدروسة في الإنكار معه ، قبل استخدام الإنكار المباشر باليد أو باللسان .

ومن بين هؤلاء العلماء الذين ذكروا هذ الخطوات الإمام ابن قدامة المقدسي . ويجعل الخطوة الأولى هي التعريف على افتراض جهل صاحب المنكر .

الخطوة الأولى ـ التعريف

« فإن الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكرا ، فإذا عرف أقلع عنه . فيجب تعريفه باللطف . فيقال له : إن الإنسان لا يولد عالماً ، ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علمنا العلماء ، فلعل

قريتك خالية من أهل العلم . فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء .

الخطوة الثانية ـ الوعظ

النهي بالوعظ والنصح والتخوف بالله ، ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد ، ويحكي له سيرة السلف ويكون ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب .

الخطوة الثالثة ـ التعنيف

والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وإنما يعدل إلى هذا عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادىء الإصرار والإستهزاء بالوعظ والنصح ، ولسنا نعني بالسب : الفحش والكذب ، قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٥٧) .

الخطوة الرابعة ـ اليد(٥٧أ)

التغيير باليد .

---

(٥٧) الأنبياء ٦٧ .

(٥٧ أ) ذكرنا قيود استخدام اليد فلاداعي للتكرار

الخطوة الخامسة ـ التهديد

التهديد والتخويف ـ كقوله : دع عنك هذا وإلا فعلت بك كذا وكذا ، وينبغي أن يقدم هذا على تحقيق الضرب إن أمكن تقديمه .

الخطوة السادسة ـ الضرب

مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والإقتصار على قدر الحاجة ، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف »[٥٨] . وقد ذكرنا قيد ذلك في الحديث عن القيد الثالث من قيود الإنكار باليد .

حالات الإعفاء من الإنكار

ويتعرض الإمام ابن قدامة لحالات عدم نفع الإنكار من حيث الوجوب فيقول : إذا علم أن إنكاره لا ينفع ، فينقسم إلى أربعة أحوال :

* أحدها : أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله ، من غير مكروه يلحق ، فيجب عليه الإنكار .

---

(٥٨) مختصر منهاج القاصدين ١٣٦ .

* الحالة الثانية : أن يعلم أن كلامه لا ينفع وإنه إن تكلم ضرب ، فيرتفع الوجوب عنه .

* الحالة الثالثة : أن يعلم أن إنكاره لا يفيد ، لكنه لا يخاف مكروها ، فلا يجب عليه الأمر لعدم الفائدة ، لكن يستحب لإظهار شعائر الإسلام والتذكير بالدين .

* الحالة الرابعة : أن يعلم أنه يصاب بمكروه ، ولكن يبطل المنكر بفعله ، مثل أن يكسر العود ، ويريق الخمر ، ويعلم أنه يضرب عقيب ذلك فيرتفع الوجوب عنه ويبقى مستحبا لقوله في الحديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »[59] .

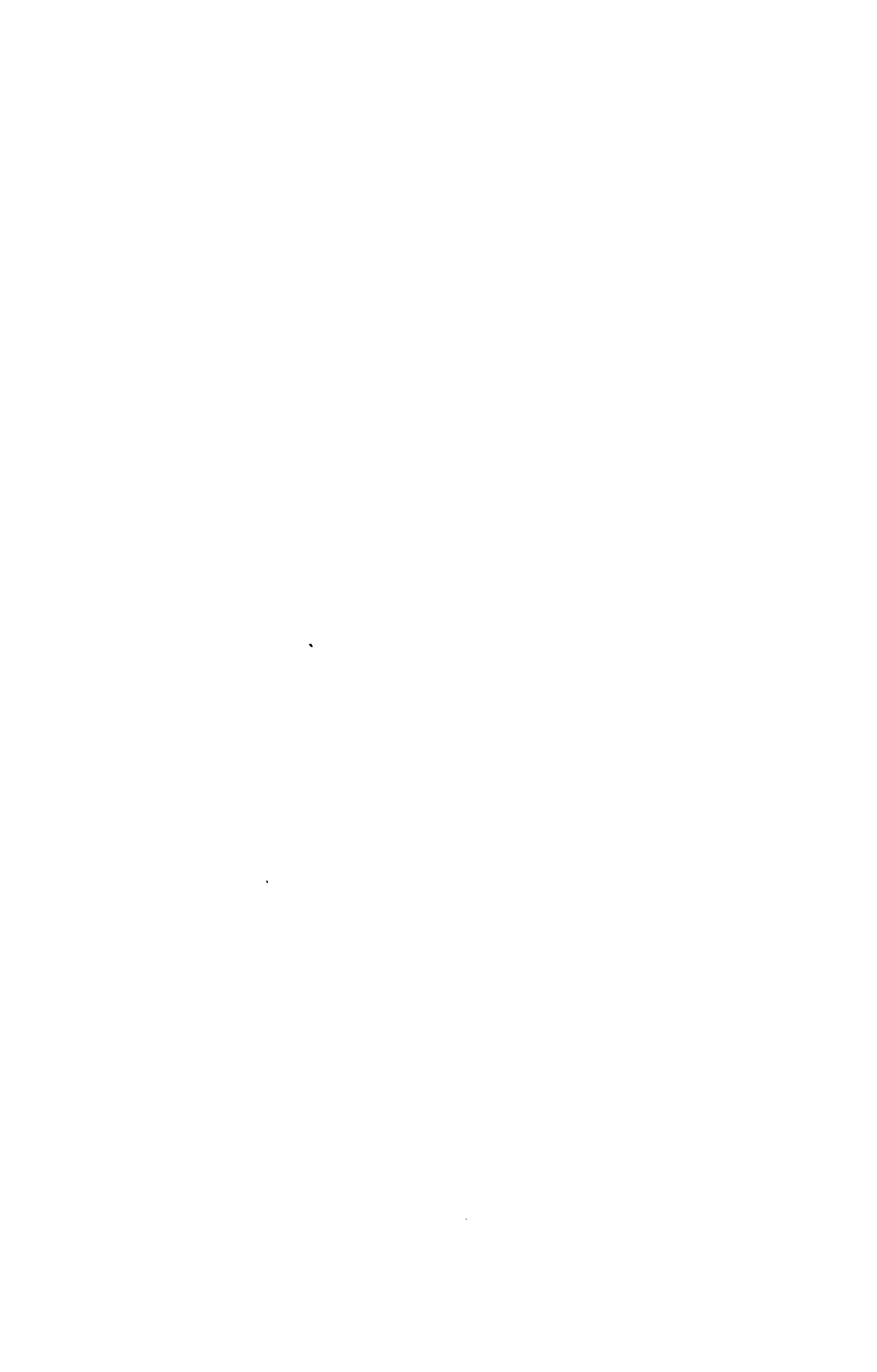
ذلك لأن سكوت الجميع يدخل تحت اللعنة التي ذكرها الله في كتابه الكريم ، وإنكار الحركة الإسلامية في مثل ظروف عنف السلطان فيه ضرر عليها ، فكان لابد من قيام أفراد من العلماء بأشخاصهم ولو نالهم الإيذاء ، ذلك لأنه لابد أن يأخذ البعض بالعزيمة .

ويتبين من هذا العرض أن الإنكار يرتفع عن الوجوب إذا ما تيقن المنكر أن ضررا سيصيبه إذا أقدم على الإنكار ، ولابد من

---

(٥٩) مختصر منهاج القاصدين ١٣٢ .

مراعاة ذلك في عملية الإنكار ، إلا في الحالـة الرابعـة وهي إذا علم أن إنكاره سيزيـل المنكر مـع ما يتـرتب عليه من ضـرر ، فيكون الإنكار مستحبا للحديث المذكور ، كما حدث مع الإمام أحمـد رضي الله عنه ، إذ أنـه لاقى من الضرر مـا لاقى ولكنه صمد وظل عـلى إنكاره لأنـه تيقن أن إنكاره سيسبب في إزالـة المنكر ، وهذاما حدث .



الفصل الاول :

قواعد الانكار

* القاعدة الاولى ـ تقديم الأهم على المهم
* القاعدة الثانية ـ التدرج بالانكار
* القاعدة الثالثة ـ ترك التجسس
* القاعدة الرابعة ـ التثبت
* القاعدة الخامسة ـ لا إنكار على مجتهد
* القاعدة السادسة ـ اختيار الوقت المناسب
* القاعدة السابعة ـ الاسرار بالنصيحة
* القاعدة الثامنة ـ خلط بعض ما تشتهيه الانفس مع امور الآخرة
* القاعدة التاسعة ـ ترك الاستفزاز واستخدام الحجة
* القاعدة العاشرة ـ المحاسنة
* القاعدة الحادية عشر ـ أخف الضررين
* القاعدة الثانية عشر ـ وسائل الانكار غير المباشر



قواعد الانكار

مقدمة

يروى لنا التاريخ بأن الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع قواعد اللغة العربية (النحو) وذلك عندما لاحظ ظاهرة اللحن في اللغة ، وعدم نطقها كما كان ينطقها أهلها العرب ، بسبب انتشار الاسلام في الأمصار البعيدة عن بلاد العرب ، وذلك حتى يحافظ على النطق العربي الأصيل ضمن هذه القواعد ، ولنفس السبب وضع العلماء قواعد التجويد لصيانة القرآن الكريم من اللحن الأعجمي ، مما أعطانا القدرة على نطق العربية وقراءة القرآن بنفس النطق الذي كان ينطق به أهل قريش آنذاك ومن هذا المنطلق أيضاً كان لا بد لرجال الدعوة الاسلامية أن يضعوا قواعد مستنبطة من القرآن الكريم وسنته المطهرة وسيرة الصحابة الكرام ومن تبعهم وسار بهديهم إلى يوم الدين ، قواعد للدعوة إلى الله للمحافظة على عملية الانكار من الاجتهاد المؤدي إلى هدم ما بناه الدعاة

المخلصون لزمن طويل ، وليحافظوا على عملية الانكار من الجهل المؤدي إلى نفور القاعدة من الحق ولجوئها إلى أحضان الباطل وأبناء إبليس ، وللمحافظة على عملية الإنكار غضة طرية كما فهمها وطبقها الرعيل الأول ومن استن بسنتهم .

القاعدة الاولى :

تقديم الأهم على المهم . .

يقول الأستاد محمد قطب « وبصرف النظر مرة أخرى عن كون الناس معذورين بهذه الجهالة أو غير معذورين ، وعن كون مقتضى لا اله إلا الله ، الذي يعطي الانسان صفة الاسلام (وهو الإقرار بما جاء من عند الله ، وعدم الرضا بشريعة غير شريعة الله) معلوما من الدين بالضرورة أو غير معلوم ، فاننا معنيون بتحديد نقطة البدء . وقد تحددت لنا الان بوضوح فيما احسب ، فاننا لا نبدأ بدعوة الناس إلى الاعتقاد بوحدانية الله ، إنما نبدأ بشيء لم يكن طيلة ثلاثة عشر قرنا يحتاج إلى بيان ، والآن يحتاج إلى البيان ، وهو حقيقة معنى لا إله إلا الله وصلتها الوثيقة التي لا تنفصم بالحكم بما أنزل الله »[٦٠] .

إن مشكلة تحديد نقطة البدء هي التي يقع فيها كثير من الدعاة ، فيسببون نفوراً عجيبا للناس ، ان نقطة البدء التي

---

(٦٠) منهج التربية الاسلامية ١ / ٨٢

يذكرها الأستاذ محمد قطب هنا ، هي نقطة بدء عامة لمعظم المسلمين في الوقت الحاضر ، ولكنها ليست نقطة البدء للجميع ، فالبعض يعرف تماما حقيقة معنى لا إله إلا الله وصلتها الوثيقة بالحكم بما أنزل الله ولكنه مع ذلك يقوم بارتكاب كثير من المعاصي والبعض يعرف تلك الحقيقة ولا يقوم بارتكاب الكبائر ، ولكن لا يخلو من عمل بعض الصغائر ، هذا يجعلنا أمام حقيقة ، وهي معرفة ظروف كل مدعو على حدة ، لنحدد نقطة البدء لكل منهم التي تختلف عن الآخر. إن معرفتنا لتحديد نقطة البدء لمن نريد أن ننكر عليه أمرا ما ، تنطلق من معرفتنا بالمعاصي والمناكر التي يقوم بها وعلى ضوئها يتبين لنا أن ما ترك من الواجبات مهم ولكن بعضها أهم من الآخر ، وإن ما اقترف من المعاصي منكر ولكن بعضها انكر من الآخر ، ان الاهم والأنكر في كلتا الحالتين هما نقطتا البدء التي نبدأ بها مع من نريد أن نمارس معه عملية الإنكار . وهذا ما نسميه بقاعدة تقديم الأهم على المهم والتي يسميها الأستاذ محمد قطب نقطة البدء . وعلى هذه القاعدة يكون خارجاً عن فقه الانكار من أنكر على من لا يربي اللحية ، وهو يعلم أنه لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي . ويكون خارجاً عن فقه الإنكار من أنكر على أحدهم إسبال الإزار وهو يعلم أنه منغمس حتى النخاع في تقليد كل ما هو غربي ، وغارق من رأسه إلى أخمص قدميه في كل لهو محرم .

ويكون خارجاً عن فقه الإنكار من أنكر على أحدهم أكله بيده اليسار . وهو يعلم أنه لا يعلم أين القبلة وما دخل في حياته كلها بيتا من بيوت الله ، والأمثلة على ذلك كثيرة ولو طبقنا هذه القاعدة لأخرجنا الكثير من فقه الإنكار لعدم تقديمهم الأهم على المهم .

* الرسول ﷺ يعلم معاذ القاعدة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « قال رسول الله ﷺ لمعاذ ابن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٦٠] . (أ) يقول الإمام ابن حجر « وأما قول الخطابي إن ذكر الصدقة أخر عن ذكر الصلاة لأنها انما تجب على قوم دون قوم . وأنها لا تكرر تكرار الصلاة فهو حسن ، وتمامه أن يقال بدأ بالأهم فالأهم ،

---

(٦٠) (أ) رواه البخاري ـ فتح الباري ١٤٩٦

وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة »[٦٠] (ب)

* ابن أبي ذئب ووالي المدينة ـ

ابن أبي ذئب خبير الإنكار على الملوك والأمراء ، والذي سأله أبو جعفر عن نفسه فقال له « ورب هذه البنية انك لجائر »[٦١] .

والذي نفى الإمام أحمد أن يخلف مثله ، وفضله على الإمام مالك . ما كان لهذا الإمام الخبير بأصول الإنكار أن تغيب عنه هذه القاعدة . وهو الذي له صولات وجولات بالإنكار على أصحاب النفوذ . فعندما سمع بحبس محمد بن عجلان أحد رجال الحديث بسبب إنكاره على الوالي إطالة الخطبة « دخل علي الوالي ، وقال : حبست ابن عجلان ؟! »

فقال : ما يكفيه أنه يأمرنا فيما بيننا وبينه ، فنصير إلى ما يأمرنا حتى يصيح بنا على رؤوس الناس فنستضعف ؟!

فقال ابن أبي ذئب : ابن عجلان أحمق ، هو يراك تأكل الحرام ، وتلبس الحرام ، فيترك الإنكار عليك ، ويقول لا تطل بيانك وكلامك على منبر رسول الله ﷺ .

---

(٦٠) (ب) فتح الباري ٣/٣٥٩

(٦١) تذكرة الحفاظ ١/١٩٢

فقال الوالي : أخرجوا ابن عجلان ما عليه من سبيل[٦٢] .

فنحتاج إذن تقديم الاصول على الفروع وتقديم الأهم على المهم . وهذا يضطرنا لان نلتزم بقاعدة اخرى وهي التدرج بالإنكار .

(٦٢) اداب الشافعي ص ٤٨ ـ ٤٩ .

القاعدة الثانية التدرج بالانكار

ويكفينا لتبيين هذه القاعـدة ان نذهب بجـولة مـع مؤمن آل فرعون ، لنرى كيف يتدرج بالانكار على قومه درجة درجة ؛ حتى يفصح لهم بالنهاية عن ايمانه الذي كان يكتمه ، كل هذا بأسلوب يمتلىء بالذكاء ، ودقة متناهية بالتدرج بالانكار .

جولة مع مؤمن آل فرعون . .

وبعد قرار فرعون بقتل موسى عليه السلام بقوله﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[63] .

ورد موسى عليه السلام ﴿ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[64]. هنا قام رجل من آل فرعون يكتم إيمانه ، ليدافع عن مـوسى وليرد كيـدهم عنه بـأسلوب ذكي ،

---

(٦٣) غافر ٢٦

(٦٤) غافر ٢٧

وبتدرج مدروس متقن . وبفقه الإنكار عميق ، في جولة مع أصحاب القرار مع الطغاة ، بحوار قد قسمه إلى أقسام ، ودرجات وأخذهم معه درجة درجة ، لكي يستوعبوا ما يريد ، ويقروا ما يريد إنكاره عليهم .

الدرجة الاولى - تضخيم المنكر .

يقول سيد رحمه الله « إنه يبدأ بتفظيع ما هم مقدمون عليه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [٦٥] فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب ، واقتناع نفس ، تستحق القتل ، ويرد عليها بإزهاق روح ؟ إنها في هذه الصورة فعلة منكرة بشعة ظاهرة القبح والبشاعة »[٦٦] .

فلا بد للداعية المنكر للمنكر ان يبدأ بتضخيم المنكر ! وتبيين قبحه ، بمقارنته بالمعروف

، حتى يكون ذلك داعيا لأن تعافه النفس . ومثال ذلك في القرآن الكريم ، تقبيح صورة المغتاب لأخيه وكانه يأكل لحم أخيه ميتا ، وكذلك تقبيح صورة المرابي بانه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، وغيرها في القرآن كثير . ومن أمثلة

---

٦٥) غافر ٢٨

(٦٦) الظلال ٥ / ٣٠٧٩

هذا الأسلوب في السنة ، قول الرسول ﷺ في من يعطي العطية ثم يرجع فيها « مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود إلى قيئه فيأكله»(٦٧) .

يقول الإمام ابن حجر « ولعل هذا أبلغ في الزجر عن ذلك وأدل على التحريم ما لو قال مثلا : لا تعودوا في الهبة »(٦٨) . ومثال ذلك في الحديث كثير .

الدرجة الثانية ـ تبيين أدلة الإنكار

ثم يخطو بهم خطوة أخرى . فالذي يقول هذه الكلمة البريئة « ربي الله » . . يقولها ومعه حجته وفي يده برهانه : ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾(٦٩) . . يشير إلى تلك الآيات التي عرضها موسى ـ عليه السلام ـ ورأوها ، وهم فيما بينهم وبعيدا عن الجماهير ـ يصعب أن يماروا فيها »(٧٠) .

فلابد للداعية عندما يقوم بعملية الانكار أن يصطحب معه أدلة تثبت أن ما يقوله هو الحق ، وأن ما ينكره هو المنكر ، لأن الناس لم

---

(٦٧) مسلم ـ كتاب الهبات ـ ١٦٢٢
(٦٨) الفتح ـ ٥ / ٢٣٥
(٦٩) غافر ٢٨
(٧٠) الظلال ٥ / ٣٠٧٩

يعتادوا الرضوخ والابتعاد عن مناكرهم بمجرد النهي الحاد المتشنج الخالي من الأدلة والبيانات .

الدرجة الثالثة ـ افتراض اسوأ الفروض

« ثم يفرض لهم اسوأ الفروض ، ويقف معهم موقف المنصف أمام القضية تمشيا مع أقصى فرض يمكن أن يتخذوه :﴿ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ . وهو يحمل تبعة عمله ، ويلقى جزاءه ، ويحتمل جريرته ، وليس هذا بمسوغ لهم أن يقتلوه على أية حال : »[71] .

الدرجة الرابعة ـ احتمال صدق الداعية

ومهما ألبس الطغاة أصحاب الحق من الاتهامات الباطلة ، ومهما كثر تصديق الناس للطغاة فيما يدعون إليه ، وعلى افتراض أن يكون ذلك الداعية كاذبا ، يبقى احتمال ، وإن كان ضئيلا أن بعض ما يدعو إليه صاحب الحق صوابا . يقول سيد « وهناك الاحتمال الآخر . وهو أن يكون صادقا ، فيحسن الاحتياط لهذا الاحتمال ، وعدم التعرض لنتائجه : ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم

---

(٧١) الظلال ٥/ ٣٠٧٩

بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾[٧٢] . واصابتهم ببعض الذي يعدهم هو كذلك أقل احتمالا في القضية فهو لا يطلب اليهم اكثر منه . وهذا منتهى الانصاف في الجدل والإفحام »[٧٣] .

الدرجة الخامسة ـ التهديد العام غير المخصص .

ثم يهددهم في طرف خفي ، وهو يقول كلاما ينطبق على موسى كما ينطبق عليهم . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٧٤] . فان كان موسى فان الله لا يهديه ولا يوفقه فدعوه له يلاقي منه جزاءه . واحذروا أن تكونوا أنتم الذين تكذبون على موسى وربه وتسرفون . فيصيبكم هذا المآل »[٧٥] . وأجمل شيء في هذا الأسلوب أنه تهديد غير مباشر ، فالنفوس تأنف التهديد المباشر ، ولا تحب أن تلتقي حول من يهددها . أو يرغمها على شيء معين خاصة إذا كان بشرا مثلهم . لذلك ربط هذا التهديد العام بالله ، وليس بشخصه كإنسان ، مما يخفف وطئة النفور ، ويجعل ذلك التهديد مستساغا ومؤثرا لانهم كانوا يعتقدون بالآلهة وبما تقوم به من نفع وضرر ، ولكنهم ما كانوا يوحدون .

---

(٧٢) غافر ٢٨
(٧٣) الظلال ٥/ ٣٠٧٩
(٧٤) غافر ٢٨)
(٧٥) الظلال ٥/ ٣٠٧٩

الدرجة السادسة ـ التذكير بنعم الله والتحذير من نقمته . .

« وحين يصل بهم إلى فعل الله بمن هو مسرف كذاب ، يهجم عليهم مخوفا بعقاب الله ، محذرا من بأسه الذي لا ينجيهم منه ما هو فيه من ملك وسلطان ، مذكراً إياهم بهذه النعمة التي تستحق الشكران لا الكفران ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾[٧٦] إن الرجل يشعر بما يشعر به القلب المؤمن ، من بأس الله اقرب ما يكون لأصحاب الملك والسلطان في الأرض ، فهم أحق الناس بأن يحذروه . ثم يجمل نفسه فيهم وهو يذكرهم ببأس الله ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ ليشعرهم إن أمرهم يهمه . فهو واحد منهم ينتظر مصيره معهم وهو إذن ناصح لهم مشفق عليهم لعل هذا أن يجعلهم ينظرون الى تحذيره باهتمام ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص »[٧٧] . ومن أسوأ الأخطاء التي يقع بها كثير من الدعاة في طريق نهيهم عن المنكر ، أنهم يشعرون من يخاطبونهم بأنهم أطهر منهم . وأنهم مستثنون من العذاب والانتقام الإلهي . ومثال ذلك قولهم « انتم كذا وكذا » وقولهم « سينتقم الله

---

(٧٦) غافر ٢٩

(٧٧) الظلال ٥/٣٠٧٩ ، ٣٠٨٠

منكم » وقولهم « سيعذبكم الله في ناره » ، هذه التحذيرات المباشرة دون أن يشرك الداعية نفسه معهم ، من شأنها أن تكون مدعاة للتنفير ، وجالبة للنقم على ذلك الداعية مما يصعب عليه مهمته في الإنكار وكسب الأنصار .

الدرجة السابعة ـ اظهار خوفه على قومه وتذكيره لهم بمصارع من قبلهم .

وذلك في قوله تعالى على لسانه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ (٧٨) وذلك مثل ما يقوله بعض الدعاة لمن يريدون الإنكار عليهم « لولا حبنا لكم ما نصحناكم » أو قولهم « لولا خوفي عليك وحرصي على ابتعادك عن النار لما نصحتك » وغيرها من العبارات التي تترك في نفس صاحب المنكر شيئا من الطمأنينة والثقة بمن ينكر عليه ، تجعله أكثر قبولا للنصيحة والإنكار مما لو كانت خالية من تلك العبارات .

الدرجة الثامنة ـ التخويف بيوم القيامة .

وذلك في قوله تعالى على لسانه ﴿ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ

---

(٧٨) غافر ٣٠ و ٣١

التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[٧٩] .

يقول سيد رحمه الله « وفي ذلك اليوم ينادي الملائكة الذين يحشرون الناس للموقف ، وينادي أصحاب الأعراف على أصحاب الجنة وأصحاب النار ، وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ، وأصحاب النار أصحاب الجنة . . فالتنادي واقع في صور شتى وتسميته « يوم التناد » تلقي عليه ظل التصايح وتناوح الأصوات من هنا ومن هناك ، وتصور يوم زحام وخصام . وتتفق كذلك مع قول الرجل المؤمن ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ وقد يكون ذلك فرارهم عند هول جهنم ، أو محاولتهم الفرار ولا عاصم يومئذ ولات حين فرار »[٨٠] .

والكلام عن الغيب محبب للنفوس ، لأن النفوس تحب أن تتعرف على ذلك الغيب بطبيعتها وحبها للاستطلاع ، وحرصها على معرفة الذي سيحدث لها بالمستقبل ، ولهذا السبب يذهب الكثير من الناس من الذين لا يعرفون حرمة تصديق من يدعي معرفة الغيب ، يذهبون الى العرافين وقارئي الكفوف والفناجين ليخبروهم كذباً عما سيحدث لهم بالمستقبل . ولعل هذا سبب من

---

(٧٩) غافر ٣٢ ـ ٣٣

(٨٠) الظلال ٥ / ٣٠٨٠

الأسباب التي جعلت القرآن والسنة تسهبان في تفصيل مواضيع الغيب من الجن والملائكة والقبر ، وما يجري فيه من نعيم وعذاب والقيامة وأهوالها والجنة ونعيمها والنار وعذابها وغيرها من أمور الغيب وذلك ليكون منهجاً ومنبعاً للدعاة ليغترفوا من هذه البضاعة المحببة للنفوس لعلها تهتدي حينما تسمعها وتاريخ الدعوة يخبرنا أن كثيراً من المهتدين كان سبب هدايتهم سماعهم عن أمر من أمور الغيب خاصة إذا أحسن الداعية عرضه لهذه المواضيع واختار له وقتا مناسبا .

الدرجة التاسعة ـ التذكير بالحوادث المماثلة في زمانهم . .

وذلك قول الله تعالى على لسانه ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[٨٦]

فينتقي صوراً من التاريخ القريب لأذهان قومه ، تتماثل مع معصيتهم التي يريد إنكارها ، ولا يوفق لهذا الفن من الإنكار إلا من أكثر من قراءة كتب التاريخ ، وقصص القرآن الكريم ، وعرف كيف ينتقي الوقت المناسب ليقارن بين منكر يراه ماثلا

---

(٨٦) غافر ٣٤

أمامه لا يدري مقترفه ماذا سيحدث له وبين منكر قديم يماثله . في قالب قصة حدثت لفرد أو جماعة في التاريخ القديم أو القريب وماذا فعل الله بهم من عقاب ، ويكون الحدث أوقع للقلب كلما كان قريبا من زمانه .

ختام المحاورة :

وأمام هذه المراوغة ، وهذا الاستهتار وهذا الإصرار ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة بعدما دعا القوم إلى اتباعه في الطريق إلى الله وهو طريق الرشاد وكشف لهم عن قيمة هذه الحياة الزائلة ، وشوقهم إلى نعيم الحياة الباقية ، وحذرهم عذاب الآخرة ، وبين لهم ما في عقيدة الشرك من زيف ومن بطلان »[٨٢] .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ

---

(٨٢) الظلال ٥/٣٠٨٢

بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾[٨٣] .

كسب القلوب . .

هناك درجة قبل هذه الدرجات كلها جعلت آل فرعون يستمعون لهذا الداعية ، ويحظى هو بانصاتهم إليه . ربما تكون هذه الدرجة هي القرابة وربما درجة قريبة منها ، ولكن لا بد للداعية الذي لا تربطه مع صاحب المنكر هذه الصلة أن يكون هو صلة جديدة معه يكسب بها قلبه ثم يبدأ بعد ذلك بالانكار بأسلوب المحب والمشفق على من يحب ، ولقد صدق تلميذ الإمام البنا الوفي عبدالبديع صقر ، عندما طلب من الدعاة الذين أرادوا انتهاج هذا الطريق ألا ينسوا أن يضعوا في أول مفكرتهم « إن أسلوب التحدي ولو بالحجة الدامغة ، يبغض صاحبه للاخرين فيجب التلطف لأن كسب القلوب أولى من كسب المواقف»[٨٤] .
وبعد كسب القلوب يبدأ التدرج المدروس ، وهذا ما وضحته

---

(٨٣) غافر ٣٨ ـ ٤٤

(٨٤) كيف ندعو الناس ١١ المكتب الإسلامي ط ٦ .

عائشة رضي الله عنها للتابعي الثقة يوسف بن ماهك عندما قالت له « انما نزل أو ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا تاب الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل «لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا ابدا . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ واني لجارية العب ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وأنا عنده »[٨٥] .

وعائشة رضي الله عنها تبين للدعاة هنا قاعدة جليلة في التدرج بالانكار بما بدأ به القرآن من الترغيب والترهيب والرقائق حتى إذا ما صلبت الأعواد وقوت القلوب جاءت مرحلة البناء .

---

(٨٥) البخاري ١٥٢/٦ باب تأليف القرآن .

القاعدة الثالثة ـ ترك التجسس

روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ قوله :

« يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته »[٨٦] .

وتتبع العورات والتجسس يفسد الناس وذلك إنه ينزع الثقة فيما بينهم وينشر ظن السوء ، مما يجعل الطرف المتجسس عليه إذا علم بذلك أن يحمل حقدا وكراهية للطرف المتجسس وهنا تنقطع الأواصر ويفسد الناس . لذلك يقول النبي ﷺ « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كدت تفسدهم »[٨٧] .

فمبدأ التجسس مرفوض في عملية الانكار ، ما دام المنكر مستورا وحتى على من بيده السلطة وذلك لما يؤدي من الفساد بين الرعية ، لذلك ليس غريباً أن نسمع من الرسول ﷺ وقوله « ان الأمير اذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » [٨٨] يقول الإمام

---

(٨٦) رواه أحمد وصححه الألباني ص ج ص ٧٨٦١ .

(٨٧) أبو داود (٤٨٨٨) عن معاوية وصححه الألباني ص ج ص ٢٢٩١ .

(٨٨) رواه أحمد ٤/٦ وصححه الألباني ص ج ص ١٥٨١ .

المناوي « أي طلب الريبة أي التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيهم فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا . ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات ، فان ذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام والانسان قل ما يسلم من عيبه فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس عليهم. وعن ابن مسعود أنه قيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا . فقال : « إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به » (٨٩) . فليس التجسس من أصول الإنكار ولا فروعه في شيء والشرع لم يطلب من الدعاة الانكار على ما ستر ، وإنما أمرهم بالانكار على ما رؤي فقال « من رأى منكم منكرا . . » .

عذر غير مقبول . .

« ونص أحمد رضي الله عنه فيمن رأى إناء يرى إن فيه مسكرا، انه يدعه ـ يعني لا يفتشه »(٩٠) « قال المروزي : قرأت على أبي عبدالله أن أبا الربيع الصوفي قال : دخلت على سفيان بالبصرة فقلت يا أبا عبدالله إني أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل

---

(٨٩) فيض القدير ٢ / ٣٣٣ .
(٩٠) الآداب الشرعية ١ /٣١٧ .

على هؤلاء ـ يقصد المخنثين ـ ونتسلق على الحيطان ، فقال : أليس لهم أبواب ؟ قلت بلى . ولكن ندخل عليهم لئلا يفروا فـانكره انكارا شديدا وعاب فعلنا»[٩١] .

ويقول الامام ابن الجوزي « لا ينبغـي له أن يسترق السـمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ولا يتعرض للشم ليدرك رائحة الخمر ، ولا يمس ما قد ستر بثوب ليعرف شكل المزمار ، ولا أن يستخبر جيرانه ليخبر بماجرى بل لو أخبره عدلان ابتداء إن فلانا يشـرب الخمر فله إذ ذاك أن يـدخـل وينكـر » [٩٢] . وهـذا في المحتسب وهو المخول بالانكار من الدولة وله سلطة في ذلك وليس لمن لا يملك السلطة تغيير المنكر بيـده . كما ذكـرت في الفصول السابقة .

أبو يعلى يوضح الاستثناء . .

وذكر القاضي أبو يعلي في الأحكـام السلطانية إن غلب عـلى الظن استسرار قوم المعصية لإمارة دلت وآثار ظهرت فان كان في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله او بأمرأة ليزني بها جاز أن يتجسس ويقدم

---

(٩١) الآداب الشرعية ١/٣١٨ ، ٣١٩

(٩٢) الآداب الشرعية ١/٣٢٠ .

على البحث والكشف ـ هذا في المحتسب ـ وان كان دون ذلك في الريبة لم يجز التجسس عليه . ولا كشف الأستار عنه »[٩٣] .

فالأصل ان الحرمات مصونة ليس لأحد أن يهتكها . ويستثني من ذلك ما بينه القاضي من حالات لا بد أن تتوفر فيها الشروط التالية :

١ ـ غلبة الظن اجتماع قوم على معصية.

٢ ـ ظهور الامارات والآثار الدالة على تلك المعصية .

٣ ـ غلبة الظن على تضرر الاخرين كازهاق روح او زني إذا لم تنتهك الحرمة .

٤ ـ اخبار العدل الثقة بذلك .

وبغير هذه الشروط يكون التجسس مرفوضا لمن أراد إنكار المنكر .

---

(٩٣) الآداب الشرعية ١/٣١٨ .

القاعدة الرابعة ـ التثبت

تعريف

التبين والتثبت صفة لأهل اليقين من المؤمنين وبسبب هذه الصفة التي فيهم ، يبين الله لهم الآيات والعلامات في الأمم التي مضت ، حتى يستخرجوا العبر التي تقيهم ما وقع به غيرهم من غضب الله تعالى . لذلك يقول سبحانه ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[94] .

يقول الإمام الطبري « وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون ، لأنهم أهل التثبت في الأمور ، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة ، فأخبر الله جل ثناؤه أنه بين لمن كانت هذه الصفة صفته ما بين من ذلك ، ليزول شكه ، ويعلم حقيقة الأمر »[95] .

ويقول الشيخ صديق حسن خان « قرأ الجمهور فتبينوا من التبين ، وقرىء فتثبتوا من التثبت ، والمراد من التبين التعرف

---

(٩٤) البقرة ١١٨ .

(٩٥) تفسير الطبري ٢ /٥٥٧ تحقيق محمود شاكر .

والتفحص ومن التثبت الأناة وعدم العجلة والتبصر بالأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»[٩٦] .

ويقول الشيخ الشرباصي « تبين الأمور فيه معنى التبصر والاستيضاح ، والتأكد من الأمر قبل الحكم له أو عليه . ولذلك تقول اللغة : بأن الشيء يبين بيانا فهو مبين : أي اتضح يتضح اتضاحا فهو واضح ، والبينة هي العلامة التي توضح الشيء ، سواء كان حسيا أم عقليا ، وبينت الشيء : أوضحته وأظهرته وتبين القوم الأمر : تدبروه على مهل غير متعجلين، ليظهر لهم جليا »[٩٧] .

● التأني يقي مصارع الدعاة . .

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم حاثا الدعاة على التخلق بهذا الخلق قوله تعالى ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[٩٨]. وليؤكد لهم أن هذا أصل لابد منه من أصول الإنكار . فإننا نسمع كثيرا عن معاصي يقترفها بعض الناس . وربما سمعنا ذلك من أناس قد التزموا اتباع السنة في مظاهرهم . وقد يكونون في بعض الأحيان من الملتزمين مع جماعة صالحة ، ونسارع في تصديقهم ، واتخاذ

---

(٩٦) فتح البيان ٧٢/٩ .

(٩٧) موسوعة أخلاق القرآن ١٥/٣ .

(٩٨) الحجرات ٦ .

موقف من زيد أو عمرو دون أن نتثبت . لذلك جاءت هذه الآية لتكون قاعدة من قواعد فقه الإنكار .

وكان سبب نزول هذه الآيات ما أخرجه الإمام أحمد « عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه ، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت يا رسول الله أرجع إلى قومي وأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة . فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلي رسول الله ﷺ رسولا لأبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة ، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الابان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله ﷺ فدعا سروات قومه فقال لهم إن رسول الله ﷺ كان وقت وقتا يرسل إلي رسوله يقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله ﷺ الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت . فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق ، فرق فرجع فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذا استقبل البعث وفصل من المدينة فلقيهم الحارث . فقالوا : هذا الحارث ، فلما غشيهم قال لهم : أين بعثتم ؟ ،

قالوا : إليك ، قال : ولم ؟ ، قالوا : إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم إنك منعته الزكاة ، وأردت قتله . قال : لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته البتة ولا أتاني ، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولي . قال : لا والذي بعثك بالحق ما رأيته البتة ولا أتاني ، وما احتبست إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ ، حسبت أن يكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله ، قال فنزلت الحجرات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ إلى هذا المكان ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٩٩) .

● سبب التحذير . . .

وسبب تحذير الله سبحانه وتعالى المؤمنين من التسرع ، وتنبيههم للتثبت قبل اتخاذ الموقف . بينه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(١٩٩) أي « لئلا تصيبوا قوما من الناس الأبرياء . وأنتم تجهلون حقيقة الأمر . فتصيروا بعد ظهور براءتهم نادمين على ما ارتكبتم في

---

(٩٩) قال الهيثمي : رواه أحمد ورجال أحمد ثقات ـ مجمع الزوائد ٧/ ١٠٨ .

(٩٩أ) الحجرات ٦

حقهم . مغتمين غما يلازمكم ، وتتمنوا أن ذلك لم يقع منكم ، لأن الندم هو الغم على وقوع شيء مع تمني عدم وقوعه »[١٠٠] .

وهذا الغم الذي يصيب المؤمنين بسبب تعجلهم إنما هو نتيجة ما يأمر به الشيطان ، ليجعلهم في حزن وأذى ، وليساعد على تفككهم بنشر الأحقاد فيما بينهم وانتزاع الثقة وحسن الظن التي تجمعهم ، لذا قال النبي ﷺ « التأني من الله ، والعجلة من الشيطان »[١٠١] .

قال الإمام ابن القيم « إنما كانت العجلة من الشيطان ، لأنها خفة وطيش ، وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم . وتوجب وضع الشيء في غير محله ، وتجلب الشرور وتمنع الخيور . وهي متولدة بين خلقين مذمومين ، التفريق والاستعجال قبل الوقت »[١٠٢] .

● فراق الخضر . . .

الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق وهم القدوة في قومهم . ولا بد أن تتوفر فيهم صفة التثبت كصفة أساسية حتى يتمكنوا بوضع

---

(١٠٠) موسوعة أخلاق القرآن ٣/ ٢٠٢١٩ .
(١٠١) أخرجه البيهقي في « الشعب » وحسنه الألباني صرج ص ٣٠٠٨ .
(١٠٢) فيض القدير ٣/٢٧٧ .

الأشياء في محلها ، وحتى تنتفي منهم صفة الظلم ، ولأن صفة التسرع والطيش وعدم التثبت ليس من صفات الكاملين، لذلك ربى الله سبحانه وتعالى أنبياءه على هذه الصفة ليكونوا قدوات يحتذى بهم ورثة الأنبياء من الدعاة من بعدهم ، ومن بين هؤلاء الرسل موسى عليه السلام في قصته مع الرجل الصالح « الخضر » ، لقد أخذ الخضر من موسى عليه السلام عهدا وشرطا إن أراه صحبته ليتعلم من العلم الذي أعطاه الله ، ألا يسأله عن شيء حتى يوضحه له ، ومع موافقة موسى عليه السلام على الشرط بألا يتسرع بالإنكار على الخضر عندما يقوم ببعض الأمور التي يبدو في ظاهرها المنكر . قبل أن يسمع من الخضر حقيقة ما يقوم به « إن الخضر يخرق السفينة التي حملتهما ، وأركبهما صاحبها من غير نول . ولكن الخضر يكافىء يده بضدها ويتسبب - على ما كان يظهر لموسى - في غرق ركابها الوادعين ، ويقتل غلاما زكيا لم يسيء إليهما ، ولم يسيء أبواه ، وبالعكس من ذلك يقيم جدار يريد أن ينقض من غير أجرة يتقاضاها ، وذلك في قرية لم يضيفهما أهلها ، ولم يعرفوا حقهما ، هذه كلها تصرفات غريبة من الخضر ، تثير في موسى الاستغراب والدهشة ، وتحمله على الإنكار والسؤال مرة بعد مرة »[١٠٣] .

---

(١٠٣) تأملات في سورة الكهف ص ٩٦ ، ٩٧ أبو الحسن الندوي .

كان على موسى عليه السلام أن يتريث حتى يوضح له الخضر أسباب وحقائق ما يقوم به ، حتى يحصل على أكبر قدر من العلم من ذلك الرجل الصالح ، الأمر الذي جعل الخضر يذكره بعدم التسرع بعد كل إنكار كان يقوم به موسى عليه السلام . مذكرا له بالشرط الذي اشترطه عليه في بداية اللقاء حتى قرر الخضر المفارقة لأن موسى لم يلتزم بالشرط فحرم بسبب تسرعه علما كثيرا ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾(١٠٤) . فرد عليه أسباب قيامه بخرق السفينة وقتل الغلام ، وبناء الجدار ، كما جاء في سورة الكهف ، وعلى غير ما بدا في ظاهرها ، ليعلم الدعاة من هذه القصة دروسا في التأني والتثبت قبل الإنكار. وليعلموا أن من امتثل هذه الصفة . فكأنما حاز على جزء من النبوة ، إن يقول النبي ﷺ « التؤدة والاقتصاد ، والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة »(١٠٥) .

فأين الهمم التي تتسابق لامتلاك هذه الأجزاء النبوية ؟ .

● سليمان والهدهد . .

لذلك نرى هذه الصفة واضحة في سليمان عليه السلام ،

---

(١٠٤) الكهف ٧٨ .

(١٠٥) أخرجه عبد بن حميد في « مسنده » والطبراني في « الكبير » والترمذي عن عبدالله بن سرجس وصححه الألباني ص ج ص ٣٠٠٧ .

وذلك في قصته مع الهدهد إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[106] .

يقول سيد رحمه الله « ومن ثم نجد سليمان الملك الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ ولكن سليمان ليس ملكا جبارا في الأرض ، إنما هو نبي ، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب ، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه ، ويتبين عذره . . . ومن ثم تبرز سمة النبي العادل : ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي حجة قوية توضح عذره ، وتنفي المؤاخذة عنه »[107] .

إن الأناة والتثبت صفة جميلة يحبها الله ، وتكون أجمل إذا جاءت من القادر على العقاب ، واتخاذ القرار ، لهذا قال الشاعر ابن هانىء المغربي :

وكل أناة في المواطن سؤدد
ولا كأناة من قدير محكم

---

(١٠٦) النمل ٢٠ .
(١٠٧) الظلال ٥/٢٦٣٨ .

ومن يتبين أن للصفح موضعا
من السيف يصفح عن كثير ويحلم
وما الرأي إلا بعد طول تثبت
ولا الحزم إلا بعد طول تلوم (أ)[١٠٨]

● الاستخبار قبل الانكار . .

ومن فقه قصة الخضر مع موسى وسليمان مع الهدهد وغيرها من التوجيهات القرآنية والنبوية ، استنبط العلماء أحكاما في الإنكار ، والتي منها ما نحن بصدده من التثبت والتروي والاستخبار قبل الإنكار ، فهاهو القاضي أبو يعلى يذكر في الأحكام السلطانية ما يتعلق بالمحتسب « وإذا رأى وقوف رجل مع إمرأة في طريق سالك لم تظهر منهما أمارات الريب لم يتعرض عليهما بزجر ولا إنكار ، وإن كان الوقوف في طريق خال فخلوا بمكان ريبة فينكرها ولا يعجل في التأديب عليهما حذرا من أن تكون ذات محرم ، وليقل « إن كانت محرم فصنها عن موقف الريب ، وإن كانت أجنبية فاحذر من خلوة تؤديك إلى معصية الله عز وجل » وليكن زجره بحسب الأمارات ، وإذا رأى المحتسب من هذه الأمارات ما ينكرها تأنى وفحص وراعى شواهد الحال ، ولم يعجل

(أ) التلوم : الانتظار أو التأني في الأمر .

(١٠٨) موسوعة أخلاق القرآن ٣/ ٢٧ .

بالإنكار قبل الاستخبار[109] .

● حرمة العلماء . .

روى البخاري في صحيحه الحديث القدسي فيما يرويه الرسول ﷺ عن ربه « من عادى لي وليا آذنته بالحرب . . . »[110] .

فإذا كان الأمر بالتثبت لعامة المسلمين واجبا ففي العلماء أوجب ، ذلك لما يؤثره التسرع باتهامهم من حرمان العوام من علمهم ، أو ظن السوء فيهم وربما كانوا منه براء لذلك على القائمين بأمر الإنكار أن يتثبتوا إذا سمعوا أو قرأوا ما يمس أحد العلماء وألا يخوض فيما يخوض به الآخرون ، ثم يندم إما في الدنيا إذا تبينت له الحقائق وإما بالآخرة حيث سيقف خصما لذلك العالم وهو يطلب من الله جل جلاله أن ينصفه مما اتهمه فيه من تهم باطلة دون أن يتثبت وحتى لا نقع في هذه المحذورات ، وضع الإمام السبكي في طبقات الشافعية قاعدة ذهبية في تجريح العلماء ، إذ قال « الصواب عندنا أن من تثبت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكوه ، وندر جارحه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه ، من تعصب مذهبي أو غيره ، فإنا لا نلتفت إلى الجرح

---

(١٠٩) الآداب الشرعية ١/٣٢٢ .

(١١٠) رواه البخاري ـ وللحديث بقية .

فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، والا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه ، لما سلم لناأحد من الأئمة ، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون ، وقد عقد الحافظ أبو عمر بن عبدالبر في كتاب العلم بابا في حكم قول العلماء بعضهم في بعض وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ـ استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض ، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها ـ وعن مالك بن دينار يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض .

ولعل ابن عبدالبر يرى هذا ، ولا بأس به ، غير أنا لا نأخذ به على إطلاقه ولن نرى أن الضابط ما نقوله من أن ثابت العدالة لا يلتفت فيه إلى قول من تشهد القرائن بأنه متحامل عليه إما لتعصب مذهبي أو غيره . ثم قال ابن عبدالبر ـ فمن أراد قبول قول العلماء الثقات بعضهم في بعض ، فليقبل قول الصحابة بعضهم في بعض ، فإن فعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا ، وخسر خسراناً مبيناً ، فنقول مثلا ، لا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك ، وابن معين في الشافعي ، والنسائي في أحمد بن صالح ، لأن هؤلاء أئمة مشهورون ، صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي إلى نقله ـ ومن أمثلة ماقدمنا ، قول بعضهم في البخاري ـ تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة اللفظ ، فيالله

والمسلمين أيجوز لأحد أن يقول البخاري متروك ، وهو حامل لواء الصناعة ، ومقدم أهل السنة والجماعة »[111] .

(١١١) طبقات الشافعية ١/ ١٨٧إلى ١٩٠ .

القاعدة الخامسة . . لا إنكار على مجتهد ولا مختلف فيه .

وهو لون من ألوان الجهل ، تجعله يتعصب لـرأيه في مسـألة خلافية ، فينكر على كل مخالف للرأي الذي تبناه ، معرضا بذلك من قول جمهور العلماء بأن الإنكار لا يكون إلا في ما اتفق على كونه منكراً .

فهذا ابن قدامة يقول « ويشترط في إنكار المنكر أن يكون معلوما كونه منكرا بغير اجتهاد ، فكل ما هو في محل الاجتهاد . فلا حسبة فيه »[١١٢] وروى أبو نعيم بسنده عن الامام سفيان الثوري رحمه الله قوله « إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه »[١١٣] .

وروى الخطيب البغدادي عنه قوله « ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً من اخواني أن يأخذ به »[١١٤] .

ونقل ابن مفلح في الآداب الشرعية عن الإمام أحمد رضي الله

---

(١١٢) مختصر منهاج القاصدين ص ١١٣ .
(١١٣) الحلية ٦/٣٦٨ .
(١١٤) الفقيه والمتفقه ٢/٦٩ .

عنه تحت عنوان « لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ فيه خلاف في الفروع ـ ما نصه : « وقد قال أحمد في رواية المروذي : لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهب ولا يشدد عليهم . . . » .[115] .

ويستثني القاضي أبو يعلى من ذلك ، إذا كان الخلاف ضعيفا في مسألة من المسائل ، وقد يؤدي عدم الإنكار إلى محظور متفق عليه ، إذ يقول « ما ضعف الخلاف فيه ، وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه كربا النقد . . فيدخل في إنكار المحتسب بحكم ولايته »[116] وهذا الذي يكون فيه الحق واضحا والأدلة بينة من الكتاب والسنة والإجماع ، أما إذا خلت المسألة من ذلك كله ، فلا إنكار على مجتهد .

وقال النووي في الروضة « ثم إن العلماء إنما ينكرون ما أجمع على إنكاره ، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه ، لأن كل مجتهد مصيب ، أو المصيب واحد ولا نعلمه ، ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين في الفروع ولا ينكر أحد على غيره وإنما ينكرون ما خالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا »[117] .

---

(١١٥) الآداب الشرعية ١/١٨٦ .
(١١٦) الآداب الشرعية ١/١٨٦ .
(١١٧) تنبيه الغافلين ـ للنحاس ١٠١

القاعدة السادسة : اختيار الوقت المناسب

فلا يختار وقت غضب صاحب المنكر بل يختار وقت هدوءه وانبساطه ولا يختار وقت انشغاله بل يختار وقت فراغه ، ولا يختار وقتا يكون فيه الحديث بعيدا عن موضوع المنكر ، بل يقتنص الوقت الذي يثار فيه موضوع الإنكار أوموضوعا قريبا منه يجعله مدخلا لإنكاره ، وهذا ما فعله يوسف عليه السلام عندما جاء له صاحبا السجن بعد أن وثقوا به وبعلمه فأرادا منه أن يفسر حلمهما فانتهز الفرصة ، للإنكار بأسلوب ذكي ، لأن صاحب المنكر هنا هو صاحب الحاجة ، وهو الذي يريد أن يستمع برضاه واختياره فلذلك يكون استعداده للقبول أكثر مما لوأجبر على الإستماع دون رغبة منه،ومن فقه يوسف عليه السلام بالإنكار أنه عرض عليهما مايريد من الحق وأنكر مايريد من الباطل قبل أن يعطيهما ما يريدان ، لأنه يعلم أن دافع الرغبة في معرفة تأويل الأحلام وخوفهما مما ينتظرهما من الغيب المجهول يجعلهما يستمعان لكل شيء من أجل معرفة ماذا سيحدث لهما ، فاختيار الوقت المناسب والظرف المناسب من أكبر الأسباب لقبول النصيحة وإزالة المنكر ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول « إن للقلوب شهوة وإقبالا ،

وفترة وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، وذروها عند فترتها وإدبارها »[118] .

فهنيئاً لذلك الداعية الفنان الذي يعرف متى تدبر القلوب ومتى تقبل فيحسن الإنكار ويجيد مخاطبة القلوب .

---

(١١٨) الآداب الشرعية ٢/١٠٩ .

● القاعدة السابعة . . الإسرار بالنصيحة .

إن من طبيعة النفس البشرية أنها تحب ألا تبدو ناقصة أمام الآخرين وتتولد من هذه الطبيعة طبيعة أخرى . وهي أنها تبغض من يحاول أن يبدي بعض عيوبها أمام الآخرين بغضا يجعلها تأبى قبول الإصلاح فيها . حتى وإن كان النقد في محله ، والعيب موجود ، وذلك على سبيل العناد لمن بين هذه العيوب ، ويستثنى من هذه الطبيعة البعض القليل والذي يسعى هو بنفسه للآخرين من أجل أن يبينوا له العيوب ، ولكن حتى هؤلاء مع طلبهم للنصح ، إلا أنهم يرفضون تبيين العيوب أمام الآخرين ويعتبرون ذلك نوعا من التوبيخ لا يرضون استماعه ولنستمع هنا إلى الإمام الشافعي وهو يقول لأحد هؤلاء الذين فقدوا هذه القاعدة من قواعد الإنكار :

«تعمدني بنصحك في انفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

وإن خـــالـفـتـني وعـصـيـت قــولي

فلا تجزع إذا لم تعط طاعة »[119] .

بل إن بعض النفوس تأبى حتى الإسرار في النصيحة إذا كانت مباشرة فلا تود أن تبدو ناقصة أمام الآخرين ، وهذا الصنف من النفوس الحساسة لابد أن ننكر عليهم بطريقة غير مباشرة ليكون ذلك أدعى للقبول ، وكان النبي ﷺ يستخدم كثيرا هذا الأسلوب غير المباشر فكان إذا رأى خطأ في أحدهم اجتمع بالجميع وقال موجها كلاما عاما دون أن يعين شخصا بذاته « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » أو كما قال وذكر ابن مفلح في الآداب الشرعية رواية عن الخلال يقول فيها « قيل لابراهيم بن أدهم الرجل يرى من الرجل الشيء ويبلغه عنه أيقول له ؟ قال هذا تبكيت ، ولكن تعريض »[120] .

(١١٩) آداب الشافعي ٥٦ .

(١٢٠) الآداب الشرعية ١/ ٢١٥ .

● القاعدة الثامنة ـ خلط بعض ما تشتهيه الأنفس مـع أمور الآخرة .

النفس تشتهي المـال ، وتحب النساء والمنـاصب ، ولا يمكن إغفال هذه الفطرة عند الإنســان حينما نـدعوه أو نمـارس عملية الإنكار معه ، ولهذا لم يغفل التشريع وحاشاه أن يغفل عن هذا الأصل من أصول الدعوة ، وهذه القاعدة من قواعد الإنكار فكان أحد الأصناف المستحقـة للزكاة « المؤلفـة قلوبهم » ومن التسمية يتبين لنا الهدف من إعطاء المال لهذا الصنف . وهو تأليف قلوب من لم يسلم حتى يدخل في الإسلام ، وبعدها نهدم المنكر الذي كان فيه ونبني إنسانا جديداً عابداً لله . ولو تصفحنا كتب السيرة لرأينا من ذلك الكثير ، فهذا صفوان يعطيه النبي ﷺ غنما ما بين الشعبين حتى إنه يتعجب من ذلك ويذهب جارياً إلى قومه وهو يقول « أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر » وهذا أبو سفيان رضي الله عنه وهو سيد قومه ، لا ينسى الرسول ﷺ منزلته من قومه عندما جاء فأتى لمكة فيقول «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فهذا الشرف الذي أعطاه له النبي ﷺ ما أعطاه له إلا ليشعره أن الإسلام ما جاء ليجني زخارف الدنيا ، وماكان هدفه

أن يذل الزعامات ولا ليحتقر العزيز في قومه .

وكان النبي ﷺ يرسل الرسائل إلى الملوك والأمراء في بقاع الأرض يطمئنهم على ملكهم بأنهم إن أسلموا سيبقيهم على ماهم عليه من الملك .

هذه القاعدة التي تشربت في قلوب الصحابة رضي الله عنهم ، ثم تلاشت أو كادت أن تتلاشى في عهد ما بعد الخلافة الراشدة ، لولا أن أحياها الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه . فهذا هو ابنه عبدالملك يتعجب من تروي أبيه في ترسية أسس العدل والقضاء على المناكر التي أحدثت في عهد من كان من قبله من الخلفاء ، فيقول له « يا أبت ما يمنعك أن تمضي لما تريده من العدل ، فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك ؟ .

قال : يابني إني إنما أروض الناس رياضة الصعب ، إني أريد أن أحي الأمر من العدل فأؤخر ذلك حتى أخرج منه طمعا من طمع الدنيا فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه »[121] .

فعلى الداعية أن يتنبه كما تنبه الخليفة الراشد الخامس لطبيعة النفور والسكون عند من نريد أن نمارس معهم عملية الأمر والإنكار . فإذا كانت المؤسسات التبشيرية للباطل قد تنبهت مبكرا

---

(١٢١) الزهد لأحمد ٣٠٠ .

لهذا المبدأ فأخذت تستخدم آلاف الوسائل الترغيبية من طمع الدنيا لمن تريد تنصيرهم، من مال ومنصب وعلاج مجاني وتدريس وتسهيلات فإن الدعاة وخاصة في هذا العصر لهم بأشد الحاجة للتنبه لهذه القاعدة وممارستها على أوسع نطاق ، فإذا نفروا مما ننكر عليهم فسيسكنون لما نعطيهم من طمع الدنيا .

● القاعدة التاسعة : ترك الاستفزاز واستخدام الحجة .

قال تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[١٢٢] .

يقول سيد رحمه الله « إن الطبيعة التي خلف الله الناس بها ، أن كل من عمل عملا ، فإنه يستحسنه ويدافع عنه ، فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها . وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها . وإن كان على الهدى رآه حسنا ، وإن كان على الضلال رآه حسنا كذلك فهذه طبيعة في الإنسان . . وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرزاق . . ولكن إذا سب المسلمون آلهة اندفعوا وعدوا عما يعتقدونه من ألوهية الله ، دفاعاً عما زين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم ! . . فليدعهم المؤمنون لما هم

---

(١٢٢) الأنعام ١٠٨ .

فيه : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وهو أدب يليق بالمؤمن المطمئن لدينه ، الواثق من الحق الذي هو عليه . الهادىء القلب ، الذي لا يدخل فيما لا طائل وراءه من الأمور . فإن سب آلهتهم لايؤدي بهم إلى الهدى ولا يزيدهم إلا عنادا ، فما للمؤمنين وهذا الذي لا جدوى وراءه . وإنما قد يجرهم إلى سماع ما يكرهون . من سب المشركين لربهم الجليل العظيم ؟!»[١٢٣] .

فليس من واجب الدعاة سب رموز الضلال ، وخصوم الدعوة أو الاستهزاء بهم ، ولئن كان هذا هو أسلوبهم فليس من اللائق أن يتشبه بهم الدعاة في هذه الأساليب الرخيصة وينزلوا إلى مستواهم والإلتزام بهذا الخلق يؤدي إلى كسب الأنصار ويجعل المكابر المعاند يصغي إذا دعوناه للحق .

● محطم الأصنام . .

والإسلام دين فيه قوة ذاتية ، وبالتالي فهو لا يحتاج إلى الإرهاب والقسر والسلاسل والحديد لإقناع الناس باتباعه ، فمن طبيعته أنه دين حجة ، ومنطق لا يخالف الفطرة أبدا ولا يصادمها ، ومشهورة

---

(١٢٣) الظلال ٢/ ١١٦٩ .

قصة محطم الأصنام إبراهيم عليه السلام مع قومه في شأن الأصنام ، وكيف جادلهم عليها حتى ألجمهم فلم يستطيعوا أن يقاوموا حججه التي كان يرسلها عليهم كالقذائف ، فما كان لهم إلا أن أمروا بتحريقه وإعدامه ، وهذا هو شأن أصحاب المناهج العقيمة التي لا تملك الحجة ، فتلجأ مضطرة إلى استخدام العنف لإقناع أتباعها بالمنهج العقيم المصادم للفطرة ، ثم تتهم من عارضها بالعنف والتطرف .

ونرى إبراهيم عليه السلام مع النمرود الطاغية الذي أراد أن يكون إلها من دون الله ، كيف يخاطبه ، وكيف يعرض عليه الحجج دون أن يجرحه ، أو يسبه أو يستهزىء بطريقة تفكيره . يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(١٢٤) .

كان من الممكن أن يكون جواب ذلك الملك الذي حاج إبراهيم في ربه مستفزا لإبراهيم عليه السلام ، ومفقداً لأعصابه ، وبذلك يتمكن عدو الله منه بسهولة ، لكن إبراهيم عليه السلام ، الداعية الحكيم تمالك أعصابه ولم يستفزه هذا الجواب من ذلك الملك

---

(١٢٤) البقرة ٢٥٨ .

الأحمق ، ولم يرد أن يدخل معه في جدال عقيم وسباب ومشاتمة فينحرف عن الهدف الذي حدده مع ذلك الطاغية ، وما أحب أن يدخل معه في نقاش طويل حول ما ادعاه من الإحياء والإماتة ، لأن الملك ما كان يستوعب أو أنه كان مكابرا ويعتقد أنه يمكن أن يحي بالعفو عن رجل حكم عليه بالإعدام ، ويمكن أن يميت بقتل رجل بريء ، وما دام هذا هو تفكيره بما فيه من سطحية ، فلقد انتقل معه إلى حجة لا يمكن إنكارها . وهذا هو فن الدعوة ، وفن الإنكار بالحجة .

يقول الشوكاني « أراد ابراهيم عليه السلام أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد ، وأراد الكافر أنه يقدر أن يعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء ، وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة ، فكان هذا جواباً أحمق لا يصح نصبه في مقابلة حجة إبراهيم ، لأنه أراد غير ما أراده الكافر ، فلو قال له : ربه الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد فهل تقدر على ذلك ؟ لبهت الذي كفر بادىء ذي بدء ، وفي أول وهلة ، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيسا لخناقه ، وإرسالا لعنان المناظرة فقال « فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فآت بها من المغرب » لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة ، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة »[١٢٥] .

---

(١٢٥) فتح القدير ١/٣٧٧ .

إن الداعية الذي تستفزه كلمات أعداء الدعوة ، فيفلت من لسانه ما يكون حجة عليه من خصومه ، معتمداً على قاعدة « السن بالسن والعين بالعين » لا يعلم أنه يساهم في تأصيل المنكر ، وتثبيته في نفوس أصحاب الضلال ، ويفقده التأييد من جمهور المستمعين إلى الطرفين ، ويجعل لأصحاب الضلال المبرر لسب دينه وقرآنه وكل ماهو مقدس وبسبب هذه النتائج الخطيرة نهى الله سبحانه وتعالى سب الآلهة المزيفة التي يعبدها أصحاب الباطل .

● نبغض الباطل ولا نبغض أهله .

الكثير يخلطون بين الباطل والقائم به ، مما يجعلهم لا يتركون فراغا في قلوبهم وإن كان يسيرا فيه رحمة وشفقة تدعوهم للقيام بنصيحة ذلك العاصي ، بل يتركونه مع الشيطان دون أن ينتزعوه منه أو يحاولوا الانتزاع ، ويحرمونه حتى من بسمة حانية تعيد له الأمل بالرجوع إلى الجادة . وهذا الصحابي الجليل أبو الدرداء يمر على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبونه ، فلم يعجبه ما رأى من صنيعهم ، وأراد أن يضيف إليهم من خبرته العميقة في الدعوة ، قاعدة لم يبد له أنهم يعرفونها فقال لهم :

« لو وجدتموه في قليب ، ألم تكونوا مستخرجيه ؟

قالو : بلى .

قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذي عافاكم .

فقالوا : أفلا نبغضه ؟

فقال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه ، فهو أخي »[١٢٦] .

● ما أنا عن نفسي براض . .

إن أبا الدرداء رضي الله عنه عندما قال لهم « واحمدوا الله الذي عافاكم » إنما أراد أن يذكرهم فضل الله عليهم إذ هداهم للإيمان ، ولولا فضل الله عليهم لربما كانوا مثل ذلك الذي يسبونه أو أشد ، وأراد أن يذكرهم بنعمة الهداية والتي أنعمها الله على من كان منهم في جاهلية معتمة ، فهلا تذكرون الأيام الخوالي فيتنفسوا الصعداء ، ويستشعروا نعمة الله عليهم ويقولوا ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ويكون ذلك دافعاً لهم بأن يشفقوا على أصحاب المعاصي ، ويكفوا عن سبهم ، بل يفكروا كيف ينتشلوهم من الوحل الذي يتمرغون فيه ، وبعد كل ذلك لابد أن يفكروا دائما في تقصيرهم تجاه من هداهم للإيمان ، ويحاولوا دائماً إكمال نقصهم ، فهذا هو التابعي الربيع بن خيثم الذي تكاملت صفاته حتى قال له ابن مسعود « لو رآك رسول الله لأحبك »[١٢٧] .

---

(١٢٦) مختصر منهاج القاصدين ١٣٧ .

(١٢٧) تقريب التهذيب ١ / ٢٤٤ .

يغتاب في مجلس رجل ، وكأن القوم أرادوا أن يشاركهم في ذم ذلك الرجل فقال « ما أنا عن نفسي براض ، فأتفرغ من ذمها إلى ذم النـاس إن الناس خـافـوا الله في ذنـوب العبـاد وأمنـوا عـلى ذنوبهم »[١٢٨] .

وكما أن القاعدة التي علمنا رسول الله ﷺ أنه « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . . » فكذلك الحال فيمن يقع في أعراض الناس ، ويسبهم ويحتقرهم ويحقد عليهم إنما دعاه لذلك نسيانه لذنوبه وعيوبه وتقصيره .

● صلة يتفنن بالإنكار . .

ويمر فتى يجر ثوبه بأصحاب التابعي المشهور صلة بن أشيم ، ويهمون أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً ، فساءه ذلك ، وأراد أن يريهم درسا عملياً بفن الإنكار فقال لهم « دعوني أكفكم أمره ، ثم قال :

يا بن أخي إن لي إليك حاجة .

قال : ما هي ؟

قال : أحب أن ترفع إزارك .

(١٢٨) الزهد لأحمد ٣٣٦ .

قال : نعم ونعمى عيني ـ أن أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك ـ فرفع إزاره .

فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم ، فإنكم لو شتمتوه وآذيتموه لشتمكم »[١٢٩] .

فكم من شتيمة نسمعها من أصحاب الضلال بين الحين والآخر ، بسبب تصرف كتصرف أصحاب صلة .

● متى تستخدم الغلظة . .

ومع أن الأصل في دعوة الناس هو الرفق والمداراة ، إلا أن بعض أنواع الناس لا ينفع معه الرفق ، بل إن الرفق يجعله يتمادى في منكره ، ويجعله يتجرأ ويستخدم يده لضرب صاحب الإنكار ، وربما أثر إعلانه بمنكره على بعض الضعاف فيجعلهم يتشجعون لفعل المناكر جهاراً أمام الناس ، خاصة إذا كان منكره يحمل طعنا في العقيدة وفي مثل هذا الوضع لابد لصاحب الإنكار أن يقوم بزجر صاحب المنكر ، وأن يريه غضبه على ذلك ، حتى يكون هذا سبباً لردعه في التمادي في منكره ، لهذا يقول الإمام أحمد :

---

(١٢٩) مختصر منهاج القاصدين ١٣٧ .

« والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق ، الأمر بالمعروف بلا غلظة ، إلا رجل معلن بالفسق ، فقد وجب عليك نهيه وإعلامه ، لأنه يقال : ليس لفاسق حرمة فهؤلاء لا حرمة لهم »[١٣٠] .

---

(١٣٠) الآداب الشرعية ١/٢١٤ .

القاعدة العاشرة . . المحاسنة

● **ادفـع بالتي هي أحسن . .**

إن صاحب المنكر ما كان ليقبل عليه لولا أنه قد أحبه ، واقتنع به ، فمن الطبيعي أن ينافح ويكابر ويـلاسن ويقاتـل من أجل الدفـاع عن منكره الذي يزاوله .

فلا بد للمزاول لعمليةالإنكار أن يتوقع أنه سيواجه أثناء عملية الإنكار السب والشتائم والإستهزاء والإزدراء والعناد والمكابرة من مقترف المنكر ، لأنه يعتقد أن المنكر عليه قـد تدخـل في شؤونه الخاصة . أو أنه يشعر أن المنكر عليه إنما أراد الإستهزاء به والتعالي عليه ، لذلك فهو يطلق جميع أجهزة الدفاع عن النفس عند عملية الإنكار .

لـذلك كـان من فقه الإنكـار أن يستخدم الـداعيـة أسلوب « المحاسنة » وهو رد السيئة بالحسنة ، السيئة التي تصيب صاحب الإنكار شخصيا وليست السيئة التي تصيب الإسلام أو حرمة من حرماته .

وهـو الأسلوب الذي تعـامل بـه أصحـاب الـرسـالات مـع

أقوامهم ، منطلقين من القاعدة القرآنية التى أمرهم الله بتطبيقها في قوله تعالى﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[١٣١] .

يقول سيد قطب رحمه الله « وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات ، وينقلب الهياج إلى وداعة ، والغضب إلى سكينة ، والتبجح إلى حياء ، على كلمة طيبة ، ونبرة هادئة ، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام ! ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً وتبجحاً ومروداً . وخلع حياءه نهائياً ، وأفلت زمامه ، وأخذته العزة بالإثم . غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد . وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها .

حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفاً ولئن أحس أنه ضعيف لم يحترمه ، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقاً . وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية . لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها . فأما في هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها . أو الصبر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا »[١٣٢] .

---

(١٣١) فصلت ٣٤ .

(١٣٢) الظلال ٥/٣١٢١ ـ ٣١٢٢ .

● نماذج من حوار الرسل . .

ونلاحظ من خلال حوار الرسل مع قومهم ، اعتمادهم في حوارهم عند عملية الإنكار أسلوب « المحاسنة » خاصة عندما يتهجم عليهم قومهم كأشخاص ، وهي (الإساءة الشخصية ، بل ويبالغون في هذا الأسلوب الرسالي ولكنهم يغيرون هذا الأسلوب عندما ينتقل الهجوم من ذواتهم كأشخاص إلى العقيدة ، فنراهم يدافعون عنها ما أمكنهم الدفاع .

● نوح مع قومه . .

يقول تعالى على لسان نوح ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[133].

ويرد عليه قومه : الشبهة الأولى ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾[134] . الشبهة الثانية ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾[135] .

« ما نرى لكم علينا من فضل يجعلكم أقرب إلى الهدى . أو أعرف بالصواب . فلو كان ما معكم خيرا وصوابا لاهتدينا إليه ،

---

(١٣٣) هود ٢٥ ، ٢٦ .

(١٣٤) (١٣٥) هود ٢٧ .

ولم تسبقونا أنتم إليه ! وهم يقيسون الأمور ذلك المقياس الخاطىء الذي تحدثنا عنه ، وقياس الفضل بالمال . والفهم بالجاه ، والمعرفة بالسلطان . . فذو المال أفضل . وذو الجاه أفهم . وذو السلطان أعرف !!! »[136] .

وبعدما انتهوا من وضع الشبهات ، بدأوا بوضع التهم .

التهمة الأولى﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾[137] .

أراذلنا

« والرذل النذل ، أرادوا اتبعك أخساؤنا وسقطنا وسفلتنا » .

قال النحاس : الأراذل هم الفقراء ، والذين لا حسب لهم ، والخسيسو الصناعات »[138] .

التهمة الثانية : ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾[139] .

أي « ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو منهم ، ولا فكر ولا نظر ، بل مجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك »[140] .

التهمة الثالثة﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[141] .

---

(١٣٦) الظلال ٤/١٨٧٢ .

(١٣٧) هود ٢٧

(١٣٨) تفسير القرطبي ٥/٣٢٥١ .

(١٣٩) هود ٢٧

(١٤٠) تفسير ابن كثير ٢/٤٤٢ .

(١٤١) هود ٢٧

« وهي التهمة الأخيرة يقذفون بها في وجه الرسول وأتباعه ، ولكنهم على طريقة طبقتهم . . « الارستقراطية » . . يلقونها في أسلوب التحفظ اللائق « بالأرستقراط » ! « بل نظنكم ! » لأن اليقين الجازم في القول والاتجاه من طبيعة الجماهير المندفعة ـ بادىء الرأي ـ التي يترفع عنها السادة المفكرون المتحفظون »[١٤٢] .

وبالرغم من هـذا الرد الهجـومي المملوء بالسخرية والازدراء والتحقير ، والأسلوب المتشنج المشبع بالشبهـات ، والاتهامـات الشخصيـة « يتلقى نوح ـ عليـه السـلام ـ الاتهـام والإعـراض والاستكبار ، في سماحة النبي ﷺ ، وفي استعلائه وفي ثقته بالحق الذي جاء بـه ، واطمئنانـه إلى ربه الـذي أرسله ، وفي وضوح طريقه أمامه واستقامة منهجه في شعوره . فلا يشتم كما شتموا ، ولا يتهم كما اتهموا ، ولا يدعي كما ادعوا ، ولا يحاول أن يخلع على نفسه مظهرا غير حقيقته ولا على رسالته شيئاً غير طبيعتها »[١٤٣] .

فهو إذن أسلوب « المحاسنة » ما دامت الشبهات والإتهامات محصورة في « الإساءة الشخصية» . فكان رد الداعية نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَـٰنِي

---

(١٤٢) الظلال ٤/١٨٧٣ .
(١٤٣) الظلال ٤/١٨٧٣ .

رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(١٤٤) .

● **شعيب وقومه . .**

يقول تعالى على لسان شعيب ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾(١٤٥) .

قال القرطبي « كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف . كان إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد ، واستوفوا بغاية ما

---

(١٤٤) هود ٢٨ إلى ٣١ .

(١٤٥) هود ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

يقدرون وظلموا ، وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص ، وشحوا له بغاية ما يقدرون »[146] .

إذن كان منكرهم الذي أراد شعيب تغييره ، إنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ، ويبخسون الناس أشياءهم ، فماكان من شعيب عليه السلام بعد أن حدد طبيعة منكرهم إلا أن يستعمل معهم أسلوب الرسل المليء بالعطف والشفقة والتودد ، ينهاهم عن ذلك المنكر ، ثم نرى أصحاب المنكر بأي أسلوب يردون عليه .

قومه : « يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ » .

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي « ومعنى كلامهم : أنه لا موجب لنهيك لنا ، إلا أنك تصلي لله ، وتتعبد له . فإن كنت كذلك أفيوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا لقول ليس عليه دليل .

وكذلك لا يوجب قولك لنا (أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا) ما قلت لنا من وفاء الكيل والميزان ، بل لا نزال نفعل فيها ما شئنا ، لأنها أموالنا فليس لك فيها تصرف . ولهذا قالوا في تهكم (إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ) وقصدهم ، إنه موصوف بعكس هذين

---

(١٤٦) تفسير القرطبي ٣٣١٣/٥ .

الوصفين ، بالسكفه والغواية . أي أن المعنى كيف تكـون أنت الحليم الرشيد ، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون؟!» .[147]

ومع هذا الاستهزاء البيـن ، والسخرية المتبجحـة « يتلطف شعيب تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه ويعرض عن تلك السخرية لا يأبه لها ، وهو يشعر بقصورهم وجهلهم . . يتلطف في أشعارهم إنه على بينة من ربه كما يجده في ضميره وقلبه . وإنه على ثقة مما يقـول لأنه أوتي من العلم مـالم يؤتوا ، وإنـه إذ يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة سيتأثر مثلهم بنتائجها ذومال وذو معاملات ، فهو لا يبغي كسبا شخصيا من وراء دعوته لهم ، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله هو لتخلو له السوق ! إنمـا هي دعوة الإصلاح العامة لهم وله وللناس »[148] .

شعيب : « يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ »[149].

---

(١٤٧) تفسير كلام المنان ٣/٤٤٨ ، ٤٤٩ بتصرف .

(١٤٨) الظلال ٤/١٩٢٠ .

(١٤٩) هود ٨٨ إلى ٩٠ .

ومع هذا الأسلوب الرقيق ، الخالي تماما من الرد على استهزائهم به ، يردون عليه بنفس الأسلوب الحاد الذي بدؤوه أول مرة ، ولكن هذه المرة بنبرة فيها تهديد .

قومه : « يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ »[150] .

قال أبو روق : « يعنون ، ذليلا لأن عشيرتك ليسوا على دينك (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ) أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك ، قيل بالحجارة وقيل لسبيناك (وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) أي ليس عندنا لك معزة »[151] .

وعندما تحول أسلوب الرد الحاد من الإساءة الشخصية إلى الإساءة للعقيدة والمساس بمالك الملك ، تغير أسلوب شعيب عليه السلام من المحاسنة إلى المجابهة والتهديد والمفاصلة .

« عندئذ تأخذ شعيبا الغيرة على جلال ربه ووقاره . فيتنصل من الاعتزاز برهطه وقومه ، ويجابههم بسوء التقدير لحقيقة القوى القائمة في هذا الوجود ، وبسوء الأدب مع الله المحيط بما يعملون . ويلقي كلمته الفاصلة الأخيرة . ويفاصل قومه على

---

(١٥٠) هود ٩١ .

(١٥١) تفسير ابن كثير ٢/٤٥٧ ، ٤٥٨ .

أساس العقيدة . ويخلي بينهم وبين الله وينذرهم العذاب الـذي ينتظر أمثالهم . ويدعهم لمصيرهم الذي يختارون »[١٥٢] .

شعيب : « يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ »[١٥٣] .

● **هود وقومه . .**

يقول تعالى على لسان هود « يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ »[١٥٤] .

بداية الدعوة والإنكار على معتقداتهم الفاسدة بأسلوب الأنبياء الذي يتلألأ منه العطف والمحبة والشفقة .

قومه : « إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ »[١٥٥]

يقول الإمام الشوكاني : « والسفاهة الخفة والحمق ، نسبوه إلى الخفة والطيش ،ولم يكتفوا بذلك حتى قالوا (إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ) مؤكدين لظنهم كذبه فيما ادعاه من الرسالة »[١٥٦] .

---

(١٥٢) الظلال ١٩٢٢/٤ .
(١٥٣) هود ٩٢ ، ٩٣ .
(١٥٤) الأعراف ٦٥ .
(١٥٥) الأعراف ٦٦ .
(١٥٦) فتح القدير ٢ / ٢١٧ ، ٢١٨ .

ومـا دامت التهمتان السفـاهة والكـذب في دائرة « الإسـاءة الشخصية » فإن هودا عليه السلام لا يزيد على نفي هذه التهمة عنه ، دون اتهامهم كما يتهمونه ، مجرد نفي ، ثم يستمر بالإنكار بأسلوب « المحاسنة » .

هود : « يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ »[١٥٧] .

● من أبناء الأنبياء . .

إن من أكبـر المقـومـات المسـاعـدة عـلى إستخـدام أسلوب « المحاسنة » الشاق على النفس أن يتذكر الداعية صاحب الإنكار عيوبه وإنه ليس في دائرة العصمة ، فما يواجهه من السب والشتائم والاستهزاء من قبل أصحاب المنكر ، مع ما فيه من التجني عليه بغير وجه حق ، لايعني إنه خال من النقائض والعيوب ، والتي ستر الله الكثير منها عن الناس ، ومادام يدرك هاتين الحقيقتين : عدم صحة ما يقال عنه ، وعدم خلوه من النقائض والعيوب ، فإنـه ليس من الحكمة الرد على ذلك المتقول البذيء ، بل نقابل السيئة بالحسنة ونحن في موضع القوة . لكي يدرك البون الشاسع بين من يقف تحت راية الملك ومن يقف تحت راية الشيطان .

---

(١٥٧) الأعراف ٦٧ ، ٦٨ .

هكذا أدركها زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه ، عندما خرج يوما من المسجد فسبه رجل ، فانتدب الناس إليه ، فقال :

« دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ، فألقى إليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم . فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء »[١٥٨] .

ولقد صدق الرجل بما قال ، فلا يستطيع أحد أن يكبح جماح النفس ، وحبها للانتصار والانتقام لمن أساء إليها إلا من تربى في بيت النبوة أو نهل من منهلهم واستضاء بمشكاة أخلاقهم وسمتهم .

وما كانت هذه حادثة عابرة في حياة زين العابدين لا تتكرر ، بل كان ذلك هو سمته وفهمه واستيقانه غير المتذبذب بأحد أكبر قواعد فقد الإنكار ، وأحد أكبر المسببات لكسب القلوب ، ولقد جاء في ترجمته أن رجلا نال منه يوما ، فجعل يتغافل عنه - يريه أنه لم يسمعه « فقال له الرجل : إياك أعني » فقال له : وعنك أغضي »[١٥٩] .

---

(١٥٨) البداية والنهاية ٩/١٠٥ .

(١٥٩) البداية والنهاية ٩/١٠٥ .

● عقلها حين ضيعها الآخرون . .

إن الشعور بالعقاب والثواب الرباني عنصر مشترك لكثير من الأخلاق الإسلامية ، لذلك كثر ذكر هذا الأمر في الكتاب والسنة ، وبذلك فهو لابد وأن يكون أحد العناصر البارزة المعينة على ممارسة قاعدة « المحاسنة » الأمر الذي حدى بالإمام الحسن البصري أن يهدي طبقا فيه رطب لرجل قد اغتابه وأساء إليه ، وأمام دهشة الرجل المسيء ، لهذا التصرف غير المتوقع ، وقبل أن يسأل عن مبرر هذا الإهداء ، يقول له الحسن «أهديت إليك باغتيابك لي حسناتك ، فاستحيا الرجل ولم يعد يذكره »[١٦٠] .

ورأى الحسن يوما رجلين يسب أحدهما الآخر « فقام المسبوب وهو يمسح العرق عن وجهه ويتلو (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ) .

فقال الحسن : لله دره ! عقلها والله حين ضيعها الجاهلون[١٦١] .

---

(١٦٠) الحسن البصري ١٩ .

(١٦١) الحسن البصري ٢٤ .

القاعدة الحادية عشرة ..

أخف الضررين*

● لوط مع قومه . .

يقول تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾(١٦٢) .

يقول الإمام الشوكاني : « لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم وكان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ ، جاءوا إلى لوط ، فلما رآهم لوط وكانوا في صورة غلمان حسان مرد ، (سِيءَ بِهِمْ) أي ساءه مجيئهم ، (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) والمعنى أنه ضاق صدره لما رأى الملائكة في تلك الصورة خوفاً عليهم من قومه ، لما يعلم من فسقهم وارتكابهم لفاحشة اللواط (وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أي

---

* لابد أن يراجع مبحث درجات الانكار .

(١٦٢) هود ٧٧ ، ٧٨ .

شديد »[163] .

إن لوطاً يواجه الآن منكراً بيناً ، وهو لا يملك العدد ولا العدة حتى يردهم عما يريدون من منكر . فكل رجال القرية جاءوا إليه (يهرعون) ، وأمام هذه الفورة المحمومة لابد له أن ينكر بحكمة بالغة . كي يتجنب ما يمكن أن تسببه حدة الإنكار . والرفض الجازم من مضاعفات ، إنه أمام قوم قد انسلخوا من فطرة الإنسان وأصبحت حتى البهائم خيراً منهم ومع علمه بسوء أخلاقهم ، وانحراف فطرتهم ، نراه يعرض بناته الطاهرات العفيفات واللاتي تربين في بيت النبوة ، يعرضهن لقومه للزواج ، ويقبل بهم كأزواج لبناته مع سوء خلقهم، حتى يتجنب ضرراً ومنكراً أبلغ وأعمق من ضرر زواج بناته بقوم لهم مثل هذه الصفات ، « يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ » .

إن معرفة هذه القاعدة أصبح ضروريا أكثر من كل وقت مضى لشباب الحركة الإسلامية نظرا لشراسة الباطل ، وحتى يكسبوا القاعدة الأكبر إلى جانبهم ليكونوا لهم الحماة والقواعد في الغد المشرق .

---

(١٦٣) فتح القدير ٢ / ٥١٣ .

● **أمثلة من الواقع . .**

هذا الواعظ المفوه الذي يجتمع إليه آلاف المستمعين ، وتتعطل حركة المرور إذا حان موعد الموعظة ، والذي يهتدي بتوجيهاته ومواعظه العشرات من الناس . وتجمع الآلاف من الأموال بعد كل محاضرة للفقراء والأرامل والمجاهدين واليتامى والمشاريع الإسلامية ، ماذا عساه أن يجني عندما يقوم بالإنكار الصريح دون استخدام التلميح على فرد من أصحاب النفود أو وضع يخالف الشرع ، ماذا عساه أن يجني أكثر من فوات كل هذه المصالح التي ذكرناها .

وهذه المجلة الإسلامية الملتزمة ، والتي يقرأها آلاف المسلمين في بقاع الأرض فيتصلوا من خلالها بقضاياهم الإسلامية ، ويهتدي بسببها الكثير منهم ، والتي تقوم بتعديل الكثير من الأفكار المتطرفة وغير المتزنة عند بعض المسلمين . والتي تزول كثير من المناكر بسبب مواضيعها ، وغيرها من المصالح الكثيرة التي تسببها ، ماذا عساها أن تجني عندما تجاوز الحد في نقدها لمنكر لأحد الأنظمة أو أحد الأفراد المتنفذين أكثر من فوات كل هذه المصالح التي تسببها .

إن بعض الأفكار المطروحة والتي تحرم الإلتحاق في التعليم الحكومي في بلد ما ، بحجة أن هذا النظام لا يحكم بما أنزل الله ولهذا فهو نظام كافر لا يجوز إعانته ومشاركته بشيء ، أو بحجة

أن الكثير من المناهج التربوية في بعض بلادنا الإسلامية تضع في مناهجها أمورا تخالف العقيدة ، وتدرسها على أنها حقائق مسلمة كنظرية دارون ، وبعض نظريات فرويد ، وكبعض الأطروحات الإقليمية وغيرها من الأفكار المخالفة للشرع ، ترى ماذا سيجني دعاة الحق عندما يقاطعون التعليم الحكومي؟ أكثر من إعطاء الفرصة لأصحاب الأفكار الهدامة لأن يتسلموا دفة التوجيه التربوي فيزداد بذلك المنكر على ما كان عليه ، وتخلو المناصب المؤثرة في المؤسسات الحكومية من أصحاب الحق فيكثر نشر الباطل ، ويتفشى الفساد الإداري بجميع صوره المرعبة ، إننا مع علمنا أن بعض ما يوضع في مناهجنا مخالف للشرع وهذا بلا شك ضرر في ميزان الشرع ولكن أليس هذا الضرر أخف بكثير من الضرر المترتب على مقاطعة التعليم الحكومي والذي يسبب لفوات تلك المصالح التي ذكرناها؟؟![١٦٣أ]

● ابن تيمية يوضح القاعدة . .

يقول الإمام ابن تيمية : « فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ، ودفع مفسدة ، فينظر في المعارض له ، فإن

---

(١٦٣) (أ) « تعلم النظريات الغير الإسلامية ليس من باب إرتكاب أخف الضررين فحسب بل قد يكون تعلمها لازما لتحذير الناس منها (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين » البهنساوي .

كان الذي يفوت من المصالح ، أو يحصل من المفاسد أكثر ، لم يكن مأمورا به ، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته . لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد ، هو بميزان الشريعة »[١٦٤] .

ويقول في موضع آخر « بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف ، فوات أكثر منه ، أو حصول منكر فوقه . ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه »[١٦٥] .

ومن تطبيقات هذه القاعدة قول ابن النحاس : «من هذا النوع لو وجدنا رجلا يرقب امرأة ليفسق بها إذا مرت ، فرأى خمرا فاشتغل بشربه ولو منعناه منه لامتنع ولكن يتنبه للمرأة ولا نقدر على دفعه عنها فإننا لا نمنعه من شرب الخمر إذا كان شربه يشغله عن منكر أعظم منه وفي عكس هذه المسألة نمنعه قطعاً »[١٦٦] .

ويذكر في مسألة ثانية « لو رأى رجلا على ساحل البحر يغصب دجاجة لرجل ولو دفعه عنها لاندفع ولكن يعلم إنه يقطع البحر إلى الساحل الآخر ويأخذ شاة لرجل آخر . إن نظرنا إلى المعصية من حيث هي فإنا لا ندفعه عن الدجاجة لأن دفعه عن هذه المعصية

---

(١٦٤) الحسبة ١٢٢ .
(١٦٥) الحسبة ١٢٤ .
(١٦٦) تنبيه الغافلين ١٠٠ .

سبب لمعصية أعظم منها ، وإن نظرنا إلى أن الإنكار منوط بالاستطاعة قلنا ندفع عن الدجاجة ، وأما الشاة فليس في الاستطاعة الدفع عنها ، وقد يحول القدر بينه وبينها ، والأول أقرب إلى القواعد والله أعلم »[١٦٧] .

أما إن تساوي المعروف والمنكر عند شخص أو مجموعة ، بحيث يفعلوهما جميعاً أويتركوهما جميعا، فيقول الإمام ابن تيمية « إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر ، بحيث لا يفرقون بينهما بل إما أن يفعلوهما جميعا ، أو يتركوهما جميعا لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا ينهوا عن منكر ، بل ينظر ، فإن كان المعروف أكثر أمر به وإن استلزم ما هو دونه من المنكر ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه بل يكون النهي حيئذ من باب الصد عن سبيل الله ، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله ﷺ وزوال فعل الحسنات »[١٦٨] .

---

(١٦٧) تنبيه الغافلين ١٠٠ .

(١٦٨) الحسبة ١٢٢ ، ١٢٣ .

القاعدة الثانية عشر ..
وسائل الانكار غير المباشرة ..

هي الوسائل المتنوعة التي تستخدم عند عدم التمكن من مواجهة صاحب المنكر وجها لوجه بسبب صعوبة الوصول إليه لبعده ، أو بسبب منصبه ، أو ما يترتب على مواجهته من الأضرار ، والتي لا يتحقق بسبب وقوعها إزالة المنكر ، أو بسبب الخوف من التلعثم واهتزاز المنطق حين المواجهة المباشرة .

من هذه الوسائل الرسالة ، والكتاب ، والمقال الصحفي ، وشريط التسجيل الصوتي ، والفلم السينمائي ، والهاتف ، والملصق ، وغيرها من الوسائل غير المباشرة . .

١) الرسالة . .

الرسالة من أقدم الوسائل غير المباشرة بالإنكار ، فقد استخدمها سليمان عليه السلام عندما أرسل إلى الملكة بلقيس يدعوها للإسلام ، واستخدمها رسولنا ﷺ بعد الحديبية عندما أرسل الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم للإسلام وينكر عليهم ما هم فيه من الضلال ، وهي من أكثر الوسائل غير المباشرة تأثيرا

بصاحب المنكر إذا أحسن المرسل صياغتها بالحكمة والموعظة الحسنة .

*) عناصر الرسالة . .

أ ـ **المقدمة** : والمقدمة بالرسالة بمثابة الحليب للطفل قبل فطمه ، وكالبنج قبل إجراء العملية الجراحية له ، فماذا سيحصل للطفل إن فطمناه قبل إرضاعه بالحليب ؟! وماذا سيحدث للمريض لو أجرينا له العملية دون أن نعطيه البنج ؟!

فمما لا شك فيه أنه ستنتج نتائج سلبية للطفل والمريض مما لا يحمد عقباه ، وكذلك لو أرسلنا الرسالة دون مقدمة ، فإنه ربما أدت إلى نتائج سلبية لم نتوقعها تؤدي إلى تأصيل المنكر وإصرار أصحابه عليه .

فالمقدمة هي التي تهيء المرء على تقبل الموضوع ، وعلى هذا فلابد أن تحوي المقدمة على ثناء لبعض الخصال الحسنة عند صاحب المنكر ، أو ثناء لبعض الخصال الحميدة والمواقف الطيبة لقبيلته أو بعض رموز قبيلته أو أبيه أو جده . أو تحوي على شرح لأصل من الأصول ، أو معنى من المعاني على شكل آية قرآنية ، أو حديث ! أو مثل مشهور .

أو تحوي على تذكيره بموقف قديم له أو كلمة طيبة له قالها قبل

اقترافه للمنكر ، فربما يهز ذلك فيه النخوة ، وتجعله أكثر تقبلا للب الموضوع . .

ب ـ **لب الموضوع** : وفيه يكتب صلب الموضوع ، ويبتعد فيه عن الاستفزاز ما استطاع ، ويبسط المعاني ويختار أسهل الكلمات ، ويبتعد عن الإطالة ، وليكن ما أراد انكاره مدعوما بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم والصالحين ، أو مدعوما بالأدلة التاريخية ، وكلما كانت الرسالة مدعومة بالأدلة كلما كانت أدعى للقبول .

ج ـ **الخاتمة** : وتتنوع الخاتمة ، وتعتمد في تنوعها على موضوع الرسالة ، ولكنها لا تخلو غالبا في رسائل الانكار في أصلين مهمين ، الأول هو الترغيب والترهيب ، والثاني وفيه تبيان الدافع لارسال الرسالة والتي يبين فيها المرسل مدى حبه وشفقته وحرصه على صاحب المنكر ، الأمر الذي دفعه لارسال الرسالة ، حتى يعرف المرسل إليه أنه لم يكن قصد المرسل الاستهزاء والكراهية والاستنقاص من قيمته .

● رسائل الرسول ﷺ :

ولو تفحصنا رسائل الرسول ﷺ التي بعثها للملوك والأمراء ، لم نرها تخرج عن هذه العناصر الثلاثة ، وسوف نتناول هنا أربعة رسائل بعث بها الرسول ﷺ بعد الحديبية .

أ ــ رسالة إلى كسرى . .

المقدمة ـ بسم الله الرحمن الرحيم . .

من محمد رسول الله ، إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

الموضوع ـ أدعوك بدعاية الله ، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين .

الخاتمة ـ ترغيب . . أسلم تسلم .

ترهيب ـ فان أبيت فعليك إثم المجوس »[١٦٩] .

ب ــ رسالته إلى هرقل . .

المقدمة ـ بسم الله الرحمن الرحيم . .

من محمد رسول الله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .

الموضوع ـ أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام .

الخاتمة ـ ترغيب . . أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين .

ترهيب ـ فإن توليت ، فإن عليك إثم الأريسيين .

---

(١٦٩) رواه البخاري ٩٦/٨ كتاب المغازي .

استشهاد بدليل : ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »[170] .

ج ـ رسالته إلى المقوقس . .

المقدمة ـ بسم الله الرحمن الرحيم . .

من محمد عبدالله ورسوله ، إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى .

الموضوع ـ أما بعد ؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام .

الخاتمة ـ **ترغيب** . . أسلم تسلم . وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين .

ترهيب ـ فإن توليت ، فإن عليك إثم القبط .

استشهاد بدليل ـ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »[171] .

---

(١٧٠) البخاري ٦/٧٨ ، ٧٩ كتاب الجهاد .

(١٧١) ابن سيد الناس ٢/٢٦٥ ، ٢٦٦ .

د ـ رسالته إلى النجاشي . .

مقدمة ـ بسم الله الرحمن الرحيم . .

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت ، فإنـي أحمد إليك الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده .

الموضوع ـ وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني ، وتؤمن بالـذي جاءني ، فـإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل .

الخاتمة ـ

بيان الدافع للإرسال ـ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي .

الترغيب ـ والسلام على من اتبع الهدى[١٧٢] .

يقول الدكتور أحمد غلوش « وبقراءة هذه الكتب نلحظ فيها ما يلي :

أ ـ وحدة موضوع سائر الكتب لأنها كلها تتضمن الـدعوة إلى الإسلام ابتداء من الإيمان بالله إلى الإيمان باليوم الآخر .

---

(١٧٢) مسلم ١٧٧٤ كتاب الجهاد .

ب ـ مراعاة حال المرسل إليه فإن كان من أهل الكتاب بين رسول الله ﷺ له في خطابه أن الإسلام يتضمن الإيمان بعيسى عليه السلام ورسالته ، وأن محمدا هو بشري موسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والتسليم .

ج ـ تضمن الكتب للترغيب والترهيب عن طريق إبراز الحساب الأخروي وتحديد مسؤولية من بلغته الدعوة »(١٧٣) .

● عمر يراسل رجلا لإصلاحه . .

وتلقف الصحابة رضي الله عنهم هذا الأسلوب بعد الرسول ﷺ فهذا هو الفاروق يرسل رسالة إلى رجل ذي بأس ، وكان يوفد إليه لبأسه ، وكان من أهل الشام ، وفقده يوما فسأل عنه فقيل : تتابع في هذا الشراب ، فدعا كاتبه فقال اكتب :

« من عمر بن الخطاب إلى فلان . .

سلام عليك . .

« فإني أحمد إليك الله الذي لا إله هو غافر الذنب قابل التوب ، شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير »(١٧٤) .

---

(١٧٣) الدعوة الإسلامية ٤٢٣ .

(١٧٤) تاريخ عمر بن الخطاب ـ لابن الجوزي ص ١٥٤ .

وكان تأثير الرسالة عظيما على الرجل ، فما أن استلمها وقرأها أخذ يقول : « غافر الذنب ، قد وعدني الله عز وجل أن يغفر لي ، وقابل التوب شديد العقاب ، قد حذرني الله عز وجل عقابه . ذي الطول ـ والطول الخير الكثير . لا إله إلا هو إليه المصير . فلم يزل يرددها على نفسه ، ثم بكا ، ثم نزع فأحسن النزع »(١٧٥) .

● رسالة الوليد لأخيه خالد . .

تخبرنا كتب السيرة أن سبب إسلام خالد بن الوليد ، هو رسالةبعثها أخوه الوليد له يحثه على الدخول بالإسلام وجاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . أما بعد ، فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟

وقد سألني رسول الله ﷺ وقال : أين خالد ؟ فقلت يأتي الله به ، فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره » .

فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة »(١٧٦) .

---

(١٧٥) تاريخ عمر بن الخطاب ـ لابن الجوزي ص ١٥٤ .

(١٧٦) البداية والنهاية ٤ / ٢٣٩ .

وواضح جدا ذكاء الوليد في صياغة المقدمة التي ذكر فيها بعض خصال الخير من الذكاء والعقل الراجح ، وزاد في قوة الرسالة استشهاده بقول الرسول ﷺ في خالد ، ثم ختمها بعبارة ترغيبية يحثه فيها على استدراك ما فات من الخير . لذلك كان تأثيرها بالغا وسببت دخوله بالإسلام .

يقول خالد عن رسالة أخيه « فلما جاءني كتابه ، نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام ، وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني »[١٧٧] .

● رسالة أنس بن مالك إلى عبدالملك . .

« عن علي بن زيد قال : كنت في القصر مع الحجاج وهو يعرض الناس من أجل ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك حتى دنا فقال له الحجاج : هيه يا خبثة ، يا جوال في الفتن ، مرة مع علي بن أبي طالب ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع الأشعث أما والذي نفسي بيده ، لاستأصلنك كما تستأصل الصمغة ، ولأجردنك كما يجرد الضب ، فقال : من يعني الأمير أصلحه الله ؟

---

(١٧٧) البداية والنهاية ٤/ ٢٣٩ .

قال الحجاج : إياك أعني أصم الله سمعك . فاسترجع فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم خرج من عنده »[١٧٨] .

ولما علم أنس رضي الله عنه أن الحجاج رجل لا يمكن التفاهم معه ، وأنه شديد البطش متهور ، استخدم أسلوبا آخر بالإنكار ، وهو أسلوب الرسالة إلى من يستطيع الإنكار بيده ، فكتب إلى الخليفة عبدالملك يشكو الحجاج ، ويقول في كتابه : « لو أن رجلا خدم عيسى بن مريم أو رآه ، أو صحبه تعرفه النصارى ، أو تعرف مكانه ، لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ، ولعرفوا له ذلك ، ولو أن رجلا خدم موسى أو رآه ، تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا .

وإني خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ، ورأيته وأكلت معه ، ودخلت وخرجت ، وجاهدت معه أعداءه . وإن الحجاح قد أضر بي وفعل وفعل .

قال محمد بن الزبير : أخبرني من شهد عبدالملك يقرأ الكتاب : وهو يبكي ، وبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير ثم قال ، إلى حامل الكتاب : انطلق بنا إليه نترضاه »[١٧٩] .

---

(١٧٨) وله تكملة ـ قال الهيثمي : رواه الطبراني . وعلي ابن زيد ضعيف وقد وثق مجمع الزوائد ٧/٢٧٤ .

(١٧٩) البداية والنهاية ٩/٦٥ .

رسائل زعماء الاصلاح في العصر الحديث ..

● الإمام حسن البنا ..

ومن أبرز زعماء الإصلاح في العصر الحديث ممن استخدموا هذا الأسلوب ، الإمام الشهيد إن شاء الله حسن البنا رحمه الله ، إذ تفجر نبوغه بتنويع وسائل الإنكار مبكراً عندما كان تلميذا في الابتدائية ، ومما يرويه في مذكراته أن إماما للمسجد الذي كان مجاورا لمدرستهم الابتدائية ، فرق التلاميذ بعد انتهائهم من الصلاة بالقوة خشية إسرافهم في الماء والبول على الحصير . يقول الإمام البنا :

« وأوحت إلى خواطر التلمذة أن أقتص منه ولا بد . فكتبت إليه خطابا ليس فيه إلا هذه الآية « وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ » ولا شيء غير ذلك ، بعثت به إليه في البريد مغرما واعتبرت أن غرامة قرش صاغ كافية في هذا القصاص . وقد عرف رحمه الله ممن جاءته هذه الضربة وقابل الوالد شاكيا معاتبا فأوصاه بالتلاميذ خيرا وكانت له معنا بعد ذلك مواقف طيبة »[١٨٠] .

---

(١٨٠) مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣ .

ونمت مع هذا الغلام الصالح حب الإنكار وإصلاح الآخرين مرورا « بجمعية منع المحرمات » والتي أنشأها مع زملائه في المدرسة الابتدائية والتي كانت مهمتها إرسال الرسائل لأصحاب المنكر كما تحدث عنها في مذكراته ، إلى أن تفتحت زهرة شبابه ، وما أصبح ذلك الغلام الذي يرسل رسائل الإنكار لصاحب المقهى والجزار وبائع الخضار واللاطمة لوجهها وغيرهم ممن يزاولون المنكر ، بل أصبح الآن ذو وعي يدله على أن الذي يستطيع تغيير معظم هذا المنكر هو السلطان فلم يتردد أن يكتب رسائل الإنكار لأولى الأمر في جميع بلدان العالم الإسلامي بدءاً بفاروق ملك مصر والسودان آنذاك والتي اشتهرت برسالة « نحو النور » والذي بدأها بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا) .

القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٦٦ هـ .

حضرة صاحب . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ، فإنما حملنا على التقدم بهذه الرسالة الى مقامكم الرفيع رغبة أكيدة في توجيه الأمة التي استرعاكم الله أمرها ، ووكل إليكم

شأنها في عهدها الجديد ، توجيها صالحا يقيمها على أفضل المسالك ، ويرسم لها خير المناهج ويقيها التزلزل والاضطراب ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة .

ولسنا نبغي من وراء ذلك شيئا إلا أن نكون قد أدينا الواجب وتقدمنا بالنصيحة . . وثواب الله خير وأبقى »[١٨١] .

ثم أخذ يسرد مزايا التوجه الإسلامي ، ومثالب التوجه الغربي ، ثم بين بعض خطوات الإصلاح العملي من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بتفصيل مازال يصلح لمن أراد الاصلاح من ولاة هذا الزمان .

● عبد السلام ياسين . .

أحد زعماء الإصلاح في المغرب ، نشأ نشأة صالحة في أحد أرياف المغرب ، جاهر بالحق منذ صباه ، وأصدر صحيفتي الصبح والخطاب ، ثم أصدر مجلة الجماعة ، اعتقل في ديسمبر عام ١٩٨٣ بمدينة « سلا » لجرأته بقول الحق وإنكار المنكر ، وكان سجنه الأول سببه رسالة أرسلها إلى أعلى سلطة في النظام قال له فيها :

---

(١٨١) مجموعة رسائل الامام ص ٢٧٢ ـ ط المؤسسة الاسلامية .

« رسالتي إليك ليست ككل الرسائل ، إنها تفرض الجواب عنها فرضا ، وحتى السكوت عنها جواب بليغ ، إنها رسالة مفتوحة حرصت كل الحرص أن تحصل في أيدي الأمة قبل أن تصل إليك منها نسختك . . ولكنك لن تملك إلا أن تجيب عنها ، بعنف السلطان وجبروته حين ترفض الوضوح الذي تتسم به والنصيحة التي تحملها إليك وإلى المسلمين عامتهم وخاصتهم ، أو تجيب عنها بالاخبات إلى الله والرضوخ للحق إن دعاك لذلك النسب الذي شرفك الله به ، وتداركك الله سبحانه وتعالى بنور يقذفه في قلبك تميز به الحق والباطل . وتسمع به الكلمة الطيبة التي جاءك بها بشير هذه الصفحات التي ما خططت فيها حرفا إلا ابتغاء رضى الله ربي ، لا عدوانا ولا كيدا ، والله حسبي منك ومن العالمين »[١٨٢] .

يا لها من كلمات رائعة ، وكأنها انبعثت من بين رسائل علماء السلف في القرون الأولى لملوكهم آنذاك ، لتعانق قلم العالم الجليل عبد السلام ياسين ، في القرن العشرين ليسطرها لرأس النظام بغية الإصلاح .

---

(١٨٢) مجلة المجتمع العدد ٧٢٣ السنة السادسة .

٢) الكتاب . .

والكتاب أيضا من الوسائل القديمة للإنكار غير المباشر ، فقد جاء في التاريخ أن بعض العلماء قد أهدوا لبعض الملوك والأمراء كتبا متضمنة لإصلاح بعض المناكر ، ومن أشهر هذه الكتب ، كتاب « المصباح المضيء في خلافة المستضيء » والذي أهداه الإمام ابن الجوزي إلى الخليفة العباسي المستضيء، والذي قد ضمنه قصصا عن الخلفاء مبينا خلقهم في تقبل النصح من العلماء ومن عامة الشعب .

وللأسف فقد فطن لأهمية هذا الأسلوب المنظمات التبشيرية ، فقامت بطباعة الكتيبات التبشيرية بملايين الدولارات ، وقامت بتوزيعها في القارة الأفريقية بلغاتهم الخاصة ، فتحول الكثير من الوثنية إلى النصرانية بسبب هذه الكتب ، وما أحرى الدعاة إلى الحق باستخدام هذه الوسيلة لتبيان زيف المناهج الأخرى وإبراز محاسن الإسلام .

إن بعض أصحاب المنكر ممن لايستطيع بعض الدعاة إقناعهم بسبب فارق الثقافة الشاسع يمكن لهم استخدام « الكتاب » ليتكلم عنهم ، ويقوم بعملية إقامة الحجة على صاحب المنكر ، وقد يهتدي بسببه ، فبعض أعمدة الفكر اليساري هداهم الله بسبب كتاب أهدي إليهم .

٣) المقال الصحفي . .

وقد يرى الداعية منكرا عاما من بعض الجهات المسؤولة كالتلفزيون أو الإذاعة أو الصحافة أو المسرح ، ويعلم أن صوته سوف يذهب أدراج الرياح لو ذهب لأصحاب المنكر وأنكر عليهم وجها لوجه ، فيمكن أن يتفق مع بعض المنكرين ، ويقوموا بارسال مقالات استهجان لذلك المنكر مما يحرك الآخرين للاستنكار بمقالات مشابهة ، الأمر الذي يجعل الجهة صاحبة الانكار أن تضطر أمام استهجان الجمهور لإيقاف المنكر ، أو الاعتذار عنه .

والمقال الصحفي فن قل من يتقنه ، وهو حقل قل من الدعاة من يدخله « وليس الداعية الناجح هو الذي يلبس عمامة أو طربوشا ويقف في المسجد ليقول للمصلين (عليكم باقامة الصلاة) . ولا هو الذي يسعد بإلقاء الأوامر الشديدة على مجموعة من البؤساء ليزيدهم بها بؤسا ، ويستدر دموعهم ، إنما الداعية الناجح هو الذي يقوم بالدور الممكن في نشر الوعي السليم بين الناس ، والدور الممكن في تربيتهم على السلوك الحسن ، ولما تظل المنابر المهمة والمراكز الحساسة حكرا على الذين لا يعلمون أو الذين يعملون ؟

إن على الدعاة أن ينتشروا في كل مكان ، وعليهم أن يشغلوا من الأعمال ما يرونه الأفضل لتثبيت مكانهم ، وما يرونه الأرجى

لنشر دعوتهم »[١٨٣] .

فمجال الصحافة لابد أن يستثمر من قبل أصحاب الحق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمقال المثمر هو الذي يلامس حاجة الفرد ، ويمس قضايا الأمة ، ويبتعد عن الألفاظ الصعبة والهجوم المباشر ، ويبتعد عن التشنج والسباب ، وسقط الكلام ، وهو الذي يدعم بالأدلة سواء من الكتاب والسنة أو من الواقع والتاريخ والاحصائيات ، وهو المتوسط فليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، وهو الذي يختار له صاحبه عنوانا جذاباً براقا يجذب العيون ، ويجبر القراء على قراءته حرفا حرفا . ويستحب للمقال المثمر أن يكون مقسما ومجزءاً إذا دعت الحاجة إلى ذلك وأن يكون ذا عناوين هامشية لكل فقرة فذلك أدعى للقراءة وأحب للقارىء .

٤) شريط التسجيل الصوتي . .

وهو وسيلة حديثة ساهمت في هداية الكثيرين من المسلمين ، فما أسهل أن يقوم الداعية بإهداء شريط لمن يريد أن ينكر عليه أمراً من الأمور ، أو أن يستغل ركوب صاحب المنكر معه في السيارة ليضع الشريط في ماكنة التسجيل ويدير مفتاح التشغيل ليسمع

---

(١٨٣) كيف ندعو الناس ص ٧٩ ط المكتب الإسلامي .

صاحب المنكر لوحده دون أن يتكلم الداعية بكلمة واحدة ، فربما كان ذلك سببا في هدايته ، خاصة إذا كان المتكلم في الشريط من مشاهير الدعاة المحبوبين بين عامة الناس .

٥) الفيلم السينمائي . .

إن من أكبر المؤثرات التربوية على المجتمعات المعاصرة هو الفيلم السينمائي والمعروض في التلفزيون والسينما فكثير من المنحرفين وأصحاب المناكر كان سبب انحرافهم الفيلم السينمائي فكيف لو استغل هذا الفيلم في الحق خاصة بعد تطور هذه الأجهزة واختراع الفيديو فأصبح من الممكن تسجيل المحاضرات والندوات والمسرحيات الإسلامية ، وخطب الجمعة وبعض الأفلام العلمية عن جسم الانسان أو الحيوان أو خلق الله مع التعليق عليها ، وعرضها بعد ذلك على العائلة أو من نريد الإنكار عليهم ، فكم من التأثير تركه فيلم « مأساة حماة » والذي قام باخراجه بعض الشباب المسلم ، وكم من التأثير تترك الأفلام التي ينتجها المجاهدون في أفغانستان عن جهادهم مع أعداء الله ، نظراً للتعتيم الاعلامي الرسمي عما يحدث للمسلمين في بقاع الأرض .

٦) الهاتف . .

وهو من أسهل الوسائل غير المباشرة لإنكار المنكر ، حيث أن الشخص المتكلم لا يراه أحد ، وما عليه إلا أن يدير القرص ليكلم

صاحب المنكر عن منكره ، واعلم أن كثيرا من المنكرات التي حدثت في الصحف والتلفزيون قد غيرت بسبب مكالمات الغيورين على الدين من هذا البلد ، وغالبا ما يكون إنكار المنكر بواسطة الهاتف محصوراً في ما تعرضه الصحافة والتلفزيون والاذاعة لأن ثبوت المنكر في هذه الحالات لا شك فيه ، ولكن لابد من مراعاة أمر مهم ، وهو استخدام غاية الأدب بالتكلم ، وعدم رفع الصوت أو اظهار الغضب ، وعدم الإطالة بالمحادثة ، ولابد من إظهار الحرص على المجتمع ، وإذا لم تراع هذه الأمور في المكالمة التلفونية ، فيسهل على الطرف الآخر اغلاق الخط حالا وعدم تحمله لسماع حرف واحد مما يقال ، وبهذا نضيع فرصة سهلة للإنكار .

٧) **الملصق ..**

وذلك عندما نلاحظ منكرا عاما بين مجموعة تحتك فيها سواء في المسجد أو العمل فتلصق ورقة فيها حديث شريف أو قول لأحد الصالحين ينهي عن ذلك المنكر ، وتختار مكانا يراه الجميع أو تقوم بتوزيع بعض الملصقات الصغيرة التي فيها تبيان لذلك المنكر .

هذه بعض الوسائل غير المباشرة في الإنكار ، والتي تساعد كثيراً في إزالة المنكر إذا أحسن استخدامها .



الفصل الثاني

قواعد الانكار على أصحاب النفوذ

* مسوغات الإنكار على أصحاب النفوذ .
* شرح حديث الإنكار على الأمراء .
* القاعدة الأولى ـ الابتعادعن الإنكار باليد .
* القاعدة الثانية ـ الحكمة بالإنكار باللسان .
* القاعدة الثالثة ـ ترك الإنكار باللسان .
* القاعدة الرابعة ـ ضرورة إظهار الزهد بالرآسة .
* القاعدة الخامسة ـ ترك النصيحة في الملأ .
* القاعدة السادسة ـ عدم إظهار الأستاذية .
* القاعدة السابعة ـ ترك التخشين في الموعظة .
* القاعدة الثامنة ـ إختصار الموعظة .



الانكار على أصحاب النفوذ

مقدمة

* أهمية صلاح السلطان :

أصحاب النفوذ هم أصحاب اتخاذ القرار في كل مكان ، سواء في البلد ككل أو في الوزارة ، أو مكان العمل ، فصاحب القرار قد يكون رئيسا للدولة أو يكون وزيرا ، أو يكون مديرا ، أو رئيس قسم وهكذا .

وكل هؤلاء يستمد سلطته وقراره من المسؤول الأول في البلاد . وقديما قيل : « إذا صلح الراعي صلحت الرعية » وقيل أيضاً : «الناس على دين ملوكهم» . وقيل«كما تكونوا يولى عليكم، ومما يرويه التاريخ لنا أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، عندما جيء بتاج كسرى إليه قال : « إن قوما أدوا هذا لأمناء » .

فقال له علي : « إن القوم رأوك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا »[١٨٤] .

---

(١٨٤)تاريخ عمر ١٨٨ .

فالناس من طبعهم التأثر برؤسائهم . فإذا كانوا يقلدونه في ملبسه . وعاداته الخاصة ، فهم كذلك على استعداد في تقليده في صلاحه وتقواه وورعه واخلاصه ، ولهذا السبب قال الإمام ابن الجوزي « وأولى من أهديت إليه النصائح السلطان » ويعلل السبب بقوله « لأن في صلاحه صلاح الخلق كلهم » . ولذلك قال الحكماء : « صلاح الوالي خير من خصب الزمان » وقال الأحنف لمعاوية : « أنت الزمان فإن صلحت صلح الناس »[١٨٥] .

*** ليسوا كسلاطين الأمس :**

وإذا كان الرسول ﷺ يقول « خير الناس قرنى ، ثم الثاني ثم الثالث ، ثم يجيء قوم لا خير فيهم »[١٨٦] . فإذا كانت هذه الأفضلية شاملة لكل من عاش في ذلك القرن ، فهي بلا شك تشمل الولاة على هذه الأمة ، فخير السلاطين من كانوا في قرنه ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، فليس سلاطين اليوم كسلاطين الأمس ، فإن اعترض معترض محتجا بسير بعض علماء السلف وتعرضهم الجارح لسلاطينهم وولاتهم ، فيرد عليه ابن

---

(١٨٥) المصباح المضيء ١/ ١٨٣ .

(١٨٦) الطبراني وصححه الألباني ص ج ص (٣٢٨٨) .

مفلح إذ يقول « فأما ما جرى للسلف من التعرض لأمـرائهـم ، فإنهم كانوا يهابـون العلماء . فإذا انبسـطوا عليهم احتملوهم في الأغلب »[187] .

فكان الخلفاء الراشدون هم الذين يذهبـون للعلماء يطلبـون منهم النصيحة ، و « كان عمر يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون المـوت والقيـامـة والآخـرة ثم يبكـون حتى كـأن بـين أيديهم جنازة »[188] .

وجاءت الخلافة الأموية ، وكان الخلفـاء فيها ينـادون العلماء ليذكروهـم بالآخرة ، فإذا ما غضب عليهم أحد ، وواجههم بما لم يتوقعوه تحملوه لأجل علمه وهيبته .

وكذلك الدولة العباسية والتي كـثر فيها الخلفـاء الذين كـانوا يطلبون النصيحة من العلماء ، وخاصة هارون الرشيد ، الـذي اشتهـر عنـه حب العلماء ، وسمـاع النصيحـة من كـل فـرد في المجتمع ، وحتى من كان دونه من خلفاء بني العباس لم تخب في نفوسهم هيبة العلماء . وحب النصيحة ، وأقل ما كان فيهم أن أحدهم كان يشعر بالخطأ والتقصير ، بل أن بعضهم كان يربط

---

(١٨٧) الآداب الشرعية ١ /١٩٧ .

(١٨٨) المصباح المضيء ١ /٣٨٣ .

البلاء الذي تصاب به البلاد بسبب ذنوبه هو دون ذنوب الشعب ، فمما يرويه فرقد مولى المهدي : قوله « هاجت ريح زمن المهدي ، فدخل المهدي بيتا في جوف بين ، فألزق خده بالتراب ثم قال : « اللهم إني بريء من هذه الجناية كل هذا الخلق غيري ، فإن كنت المطلوب من بين خلقك منها ، أنا بين يديك . اللهم لا تشمت بي أهل الأديان ، فلم يزل كذلك حتى انجلت الريح »[189] .

(١٨٩) المصباح المضيء ١/٤٢١ .

مسوغات الانكار على أصحاب النفوذ

المسوغ الأول : إن تأثير السلطان على من دونـه من الشعب كبير ، فكيف ما يكون يكونوا هم ، وهذا ما ذكرناه آنفا .

المسوغ الثاني : النجاة من العذاب .

وذلك لقوله ﷺ « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى تعمل الخاصة بعمل تقدر العامة أن تغيره ولا تغيره فذاك حين يأذن الله في هلاك العامة والخاصة »(١٩٠) .

وحالة الاهلاك هذه لا تحدث حتى يقوم أصحاب النفوذ ببعض المناكر والتي يستطيع العوام إنكارها عليهم دون أن يترتب على ذلك أي ضرر . وذلك ظاهر بقوله (ﷺ) « تقدر العامة » ومع ذلك يترددون في الإنكار خوفا على النفس والرزق .

المسوغ الثالث : لا نريد الوداع .

عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا

---

(١٩٠) قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات ـ مجمع الزوائد ٧/٢٦٨ .

رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منها »[191] .

المسوغ الرابع : الثقة بالثواب .

قد يقع الضرر الناتج من البلاء بسبب أمر بمعروف أو نهي عن منكر يقوم به الداعية هنا أو هناك ، وللبلاء ألوان ، وليس بالضرورة أن يكون تعذيبا جسديا ، فقد يكون في التغرب بعيدا عن الوطن ، وقد يكون في مصادرة الأموال ، وقد يكون في التهديد النفسي بالاعتداء على الأعراض ، وقد يكون في التضييق والمراقبة الدائمة ، وقد يكون بتشويه السمعة والاتهام بغير حق ، وقد يكون بغير هذه الصور والتي يتفنن في ابتكارها أعداء الله . ولكن ما يصيب الداعية من هذا كله أو بعضه يسبب له ضغطا نفسيا ربما يؤدي به إلى بغض المجتمع واعتزاله ، وتكفير الولاة ، وربما أدى إلى سقوطه وعودته للجاهلية ، فما لم يستشعر الداعية بالثواب العظيم بسبب ما يلاقي من بلاء ، فإنه ليس بمأمن من النتائج السلبية التي ترافق البلاء والتي تؤدي إلى شلل عملية الإنكار أو إصابتها بعاهة مستديمة .

---

(١٩١) قال الهيثمي : رواه أحمد والبزار بإسنادين ، ورجال أحد اسنادي البزار رجال الصحيح ـ مجمع الزوائد ٧/٢٦٢ .

فلابد من تربية جيل الصحوة على استشعار الثواب ، اقتداء بالصحابي عمير بن حبيب بن حماشة والذي أدرك النبي ﷺ عند احتلامه ، عندما أوصى ولده فقال له « يابني إياك ومجالسة السفهاء ، فإن مجالستهم داء ، ومن يحلم عن السفيه يسر ، ومن يجبه يندم ، ومن لايرضى بالقليل مما يأتي به السفيه ، يرضى بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهي عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى . ويثق بالثواب من الله تعالى فإنه من وثق بالثواب من الله عز وجل لم يضره مس الأذى »(١٩٢) .

بل إنه لا يذوق حلاوة الإيمان ولذته إلا تحت السياط والتعذيب ، وفي ظلمات السجون والتضييق ، وتجعله ينطق كما نطق أخوه هاشم الرفاعي عندما كان تحت التعذيب .

« قد عشت أؤمن بالإله ولم أذق . .
إلا أخيراً لذة الإيمان »(١٩٣)

المسوغ الخامس : سؤال الله يوم القيامة .

ولو كان هذا المسوغ هو وحده الذي يدفعنا للإنكار على أصحاب النفوذ أو غيرهم لكفى ، فعن أبي سعيد الخدري قال :

---

(١٩٢) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ٧/٢٦٦ .

(١٩٣) شعراء الدعوة الإسلامية ٣/٥١ .

قال رسول الله ﷺ « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا عليه فيه مقالا ، ثم لا يقوله ، فيقول الله : ما منعك أن تقول فيه ، فيقول : رب خشيت الناس ، فيقول : فأنا أحق أن تخشى »(١٩٤) .

المسوغ السادس :

ما أورده الإمام أحمد في مسنده عن الرسول (ﷺ) « إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم فينكرون المنكر »(١٩٥)

قال المناوي «ـ إن من أمتي قوما ـ أي جماعة لهم قوة في الدين (يعطون مثل أجور أولهم ، أي يثيبهم الله مع تأخر زمنهم مثل إثابة الأولين من الصدر الأول الذين نصروا الإسلام وأسسوا قواعد الدين ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال هم الذين ينكرون المنكر»(١٩٦) .

---

(١٩٤) أخرجه الإمام أحمد ، قال الساعاتي ، جاء عند ابن ماجه فيقول « يعني الله عز وجل » فإياي كنت أحق أن تخشى قال البوصيري في زوائد ابن ماجه « وإسناده صحيح . رجاله ثقات » الفتح الرباني ١٩ / ١٧٤ .

(١٩٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٦٢ . وصححه الألباني « ص . ج . ص ٢٢٢٠ » .

(١٩٦) فتح القدير ٢ / ٥٣٧ .

المسوغ السابع : سيد الشهداء

إن جمهور الدعاة إلى الله ليتمنون هذه النهاية التي هي من خير الأعمال التي يختم بها العبد حياته في هذه الدنيا ليكون شهيداً في سبيل الله ، فكيف إذا مات وهو سيد الشهداء ؟

يقول النبي ﷺ :

« سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله »[(١٩٦)(أ)]

يقول الإمام المناوي :

« فحمزة شيد شهداء الدنيا والآخرة والرجل المذكور سيد الشهداء في الآخرة لمخاطرته بأنفس ما عنده وهي نفسه في ذات الله تعالى »[(١٩٦)(ب)]

---

(١٩٦) (أ) رواه الحاكم في المستدرك وحسنه الألباني (ص ج ص ٣٥٦٩) .
(١٩٦) (ب) فيض القدير ٤/ ١٢١ .

حديث الانكار على الأمراء

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنه قال :

« إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برىء ، ومن أنكر فقد سلم . ولكن من رضي وتابع » قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا »[١٩٧] .

وهذا الحديث وإن كان مختصاً فيمن يحكم بما أنزل الله من الخلفاء وغيرهم فيمن يفعلون بعض المعاصي ما يجعل عملهم خليطاً بين ما هو موافق للشرع ، وما هو مخالف له ، إلا أن الرسول ﷺ يرسم في هذا الحديث خطوطا عريضة لنوع خاص من الإنكار ، وهو ما يختص بأصحاب النفوذ والسلطان .

يقول الإمام المناوي « ـ فتعرفون وتنكرون ـ أي تعرفون بعض أحوالهم وأقوالهم لموافقتها للشرع ، وتنكرون بعضها لمخالفتها له ـ فمن كره ـ ذلك المنكر بلسانه ، بأن أمكن تغييره بالقول فقد

---

(١٩٧) رواه مسلم ـ كتاب الامارة ٦٣ .

ـ بـريء ـ من النفاق والمـداهنة ـ ومن أنكـر ـ بقلبه فقط ومنعه الضعف من إظهار النكير فقد ـ سلم ـ من العقوبة على تركه النكير ظاهراً ـ ولكن من رضي ـ أي من رضي بالمنكر ـ وتابع ـ عليه في العمـل فهو الـذي لم يبرأ من المداهنة والنفـاق ، ولم يسلم من العقوبة ، فهو الذي شاركهم في العصيان ، واندرج معهم تحت اسم الطغيان »[١٩٨] .

ويقول الإمام النووي « وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت ، بل إنما يأثم بالرضى به أو بأن لا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه »[١٩٩] .

نستخرج من ذلك أنه لابد من الإنكار على أصحاب النفوذ ، ولكن بإسلوب يختلف مع من دونهم ، وذلك لما يترتب في الغالب على الإنكار عليهم من المفاسد التي تضر الدعوة والدعاة ، فتسبب إعاقة العمل عن تكوين القاعدة الصلبة من خلال الجمهور .

وحتى تخرج الحركة الإسلاميـة نفسها من إثم السكـوت على المنكر ومن حمى المداهنة والنفاق ، لابد من الإستفادة من القواعد الثلاث المستخرجة من الحديث لتكون المفتاح لقواعد الإنكار على أصحاب النفوذ .

---

(١٩٨) فيض القدير ٤ / ٩٩ .

(١٩٩) مسلم شرح النووي ١٢/ ٢٤٣ .

* القاعدة الأولى ـ الإبتعاد عن الإنكار باليد

ويفضل الإبتعاد عن الإنكار باليد معهم ما كان لذلك سبيلا ، كما ذكرنا ذلك في أكثر من موضع ، ونظراً لما يترتب على ذلك من الضرر الكثير للدعوة والدعاة ، ولا تستخدم اليد في رد المنكر من أصحاب النفوذ إلا في حالة الدفاع عن النفس والعرض .

* القاعدة الثانية ـ الحكمة بالإنكار باللسان

فمن أمكنه تغيير منكـر السلطان باللســان ، فله ذلك ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة ، بل ويكون ذلك مرغوبا فيه إذا كان السلطان يستمع أو أنه مجبور على الإستماع بسبب ضغط شعبي أو لأي سبب آخر ، وللحكمة صور كثيرة يمكن تطبيق كل منها في الـوقت المناسب والـظرف المناسب ، وأحـد هذه الصـور إظهار حرص الداعية على السلطان وخوفه من النار .

* مفتي السلطان سليم

وهذه الصورة من صور الحكمة نراها تتجســد في المفتي علاء الدين الجمالي الذي استطاع بحكمته منع كثير من الظلم الذي كان يقترفه السلطان سليم تاسع ملوك آل عثمان .

يصفه الشيخ علي الطنطاوي بقوله « كان القتـل أهون شيء عليه ، خنق إخوته لما خشي أن يزاحموه على الملك ، وقتل سبعة عشر من أهل بيته ، وسبعة من وزرائه ، ورد عليه الصدر الأعظم يونس باشا (رئيس وزرائه) كلمة ، كان الحق فيها مع الوزير ، فأمر بضرب عنقه فضـربت عنقه قبـل أن يتم جملته ، ودفن في

موضع مصرعه ، في خـان يونس بـالقرب من غـزة ، ولما تـرك للشراكسة في مصر أوقافهم ، قال له رئيس وزرائه « بري باشا » : يا مولانا ، فني مالنا وعساكرنا في حـربهم ، وتبقي لهم أوقافهم يستعينون بها علينا ؟ وكانت رجل السلطان في الركاب فأشار إلى الجلاد ، فقطع عنق الوزير ، فصار رأسه على الأرض ، قبل أن يصير السلطان على ظهر الفرس »(٢٠٠) .

هذه هي صفات هذا السلطان ، الذي لا يعرف لغة غير لغة الدماء ، ولا يتردد بالإشارة لقتل كل من يعارضه في أي شيء من الأشياء ، ومع ذلك ينبري له العالم الجليل المفتي « علاء دين علي الجمالي » والذي كان على علم ودراية بكيفية الإنكـار على هـذا النمط من أصحاب النفوذ ، وكيفية قتل جبروتهم وإسالـة دماء كبريائهم ، وإذابة هيبتهم أمام هيبة الله عز وجل ، وكان المفتي علاء الدين قد تولى التدريس والفتوى ستا وعشرين سنة ، على عهـد السلطان « بيـازيـد » والسلطان « سليم » وابنـه السلطان « سليمان القانوني » فها نحن نراه يستأذن بالدخول على السلطان سليم في بلاطه « فدخل وسلم عليه وجلس ، والسلطان ينظر إليه وقد بدت بوادر الغضب على محياه ، وسكت محنقا يرقب ما يأتي به الشيخ الذي دخل عليه بلا دعوة ، وجلس أمامه بلا إذن .

---

(٢٠٠) رجال من التاريخ ٢١٥ ـ ٢١٧ .

فقال الشيخ : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان ، وقد أمرت بقتل مائة وخمسين من العمال ، لا يجوز قتلهم شرعاً ، فعليك بالعفو عنهم .

فطار الغضب بعقل السلطان من هذه الجرأة عليه ، ولم يعد يبصر من أمامه ، ثم ضبط نفسه وأراد ردعه من غير قتله .

وقال له : إنك تتعرض لأمر السلطنة ، وليس ذلك من وظيفتك .

وأعرض عنه ، وارتقب أن يكف الشيخ وينصرف .

ولكن الشيخ قال له : بل أتعرض لأمر آخرتك ، وإنه من وظيفتي ، ومهما عشت فإنك ميت ، ومعروض على الله ، وواقف بين يديه للحساب ، فإن عفوت فلك النجاة ، وإلا فإن أمامك جهنم ، لا يعصمك منها ملكك ، ولا ينجيك سلطانك »[٢٠١] .

ألان الله بهذه الكلمات قلب السلطان ، وارتعدت بكلمات الحق فرائصه ، وبحكمة ذلك العالم الجليل وذكائه والذي كان يحاول إشعاره بأنه مشفق عليه ، حريص على آخرته ، وأن من واجباته أن يدله على طريق الجنة ، ويباعده عن طريق النار ، أصدر السلطان أمراً بالعفو عن العمال .

---

(٢٠١) رجال من التاريخ ٢١٥ ـ ٢١٧ .

* القاعدة الثالثة ـ ترك الإنكار باللسان

أما إن كان السلطان من أصحاب البطش والقسوة ، فحفظاً للحركة الإسلامية وأفرادها ، ترجىء عملية الإنكار باللسان إلى أن يهيء الله وضعاً يستطاع فيه الإنكار باللسان ، وهذا لا يعني عدم الإنكار بالقلب. وأنه كما قال الإمام النووي «لا يـأثم بمجرد السكوت ، بل إنما يأثم بالرضى به ، أو بأن لا يكرهه بقلبه ، أو بالمتابعة عليه »*

هكذا تظل جذوة الإنكار مشتعلة في قلبه ، حتى يغير الله وضعاً يستطيع فيه أن ينكر بلسانه أو بيده ، لتحرق تلك الجذوة الكامنة في قلبه المنكر الذي سكت عنه أيـام الفتنة . وهكـذا يكون فن الإنكار وفقهه ، فلا نستبق المراحل حتى لا نندم .

● عائذ مع الأمر بقتل الحسين

وها نحن نرى فقهـاً عميقاً من الصحـابي الجليل « عـائذ بن

● يراجع فصل حالات الإعفاء من الإنكار الحالة الرابعة .

عمرو بن هلال ، وكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان من صالحي الصحابة »[٢٠٢] .

في نصيحته للأمر بقتل الحسين « عبيدالله بن زياد » وكان أميرا على العراق أيام يزيد ، فقد « دخل على عبيد الله بن زياد » .

فقال : أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن شر الرعاء الحطمة . فإياك أن تكون منهم .

فقال له : اجلس ، فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ .

فقال : وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم »[٢٠٣] . .

وقول ابن زياد للذي بايع بيعة الرضوان « إنما أنت من نخالتهم » .

« يعني لست من فضلائهم وعلمائهم ، وأهل المراتب منهم ، بل من سقطهم ، والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق ، وهي قشوره »[٢٠٤] .

---

(٢٠٢) أسد الغابة ٢/ ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢٠٣) رواه مسلم ٢٣ ـ الامارة .

(٢٠٤) شرح مسلم للنووي ١٢/ ٢١٦ .

ومع هذه البذاءة، وهذا الطعن الموجه للصحابي الكريم، لم يرد عليه كلاما موجها لذاته ، إنما جعل رده عاما « أنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم » . وهكذا يكون فقه الإنكار مع سلطان جائر ، لا يعرف إلا البطش والدماء ، والذي رخص عنده دم ابن بنت رسول الله ﷺ ، أفلا يرخص عنده دم عائذ بن عمرو رضي الله عنه ؟!

● عندما يحول السيف دون الكلام

كان يزيد بن المهلب والياً على البصرة أيام سليمان بن عبدالملك ، وكان عمر بن عبدالعزيز يبغضه وأهل بيته لما اتصفوا به من التعالي على الناس ، وأخذ أموالهم بغير حق ، وكان عمر بن عبدالعزيز يقول فيهم « هؤلاء جبابرة » ، ولا أحب مثلهم[٢٠٥] وكان يزيد يبادل عمر البغضاء ، فعندما استلم عمر الخلافة عزله عن البصرة وأتى به ليحاكمه عن الأموال التي كان يرسل بها إلى سليمان ، ولكنه رفض أن يسلمه شيئاً منها ، فأمر بحبسه .

وعندما سمع بمرض عمر ، خاف أن يملك بعده يزيد بن عبدالملك والذي كان يبغضه بغضاء شديدة ، فهرب من محبسه ، وكتب إلى عمر وهو في مرض موته :

---

(٢٠٥) وفيات الأعيان ٦/ ٢٩٩ .

« إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي ، ولكني لم آمن يزيد بن عبدالملك ، فقال عمر : اللهم إن كان يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره ، واردد كيده في نحره »[٢٠٦] .

وبعد أن مات عمر رضي الله عنه ، ذهب يزيد إلى البصرة ، وتغلب على أهلها ، وحبس عامل الخليفة ، وخلع يزيد بن عبدالملك ، ورام الخلافة لنفسه ، وكان أشد الناس بغضاً له الإمام حسن البصري ، وعندما علم أنه يريد مواجهة جيش الخليفة يزيد بن عبدالملك ويستحث أهل البصرة لذلك قال فيه « يا عجبا لفاسق من الفاسقين ، ومارق من المارقين ، غير برهة من دهره ، يهتك لله في هؤلاء القوم كل حرمة ، ويركب له فيهم كل معصية ، ويأكل ما أكلوا ، ويقتل من قتلوا ، حتى إذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال : أنا لله غضبان فاغضبوا »[٢٠٧] .

وعندم علم ابن المهلب وأتباعه بذلك كادوا أن يقتلوه لولا خوفهم من انقلاب أهل البصرة عليهم ، في مثل هذا الجو المكهرب المتوتر يدخل المعلى بن زياد الصدوق الزاهد أحد أصحاب الحسن البصري ، يدخل على الحسن ويقول له « يا أبا

(٢٠٦) وفيات الأعيان ٦/٣٠١ .

(٢٠٧) وفيات الأعيان ٦/٣٠٤ .

سعيد كيف بهذه الآية من كتاب الله ؟

قال : أية آية من كتاب الله ؟

قال : قول الله في هذه الآية ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

قال : يا أبا عبدالله أن القوم عرضوا السيف فحال السيف دون الكلام .

فقال له : يا أبا سعيد فهل تعرف لمتكلم فضلا ؟

قال : لا

قال المعلى : ثم حدثت بحديثين قال : حدثنا أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ بحديث قال : قال رسول الله « لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو يذكر بعظيم ، فإنه لا يقرب من أجل ، ولا يبعد من رزق »(٢٠٨) .

قال : ثم حدث الحسن بحديث آخر ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس للمؤمن أن يذل نفسه ، قيل وما إذلاله نفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء لما لا يطيق »(٢٠٩) .

---

(٢٠٨) أخرج الإمام أحمد نحو هذا الحديث وقال الساعاتي « وسنده حسن » الفتح الرباني ١٩/ ١٧٤ .

(٢٠٩) وللحديث بقية ، قال الهيثمي « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح » مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٤ .

القاعدة الرابعة ـ ضرورة إظهار الزهد بالرئاسة

الكثير من الولاة يظن خطأ هو بنفسه ، أو يتم إقناعه من قبل بطانة السوء ، أو أعداء الأمة عن طريق الصحافة المضللة أو الكتب المكذوبة ، بأن هدف الحركة الإسلامية هو السيطرة على مقاليد الحكم ، فيتخذ بسبب هذا الظن الخاطىء إجراءات احتياطية ، كالتضييق على أفراد الحركة الإسلامية والسجن والإضطهاد والتشريد والإستئصال في بعض الأحيان ، حين يبلغ به الظن إلى درجة اليقين ، وفي لحظات الغضب الشديد ، والتعلق العنيف بالعرش تختلط عليه الأمور بين ادعاءات أعداء الأمة وافتراءاتهم ، وتشويههم لمطالب الحركة الإسلامية ، وبين مطالب الحركة الإسلامية الحقيقية والتي هي « الحكم بما أنزل الله » دون الإلتفات إلى شخصية الحاكم أو الطريقة التي أتى بها إلى سدة الحكم مادام يحكم بما أنزل الله ويهيء المجتمع لذلك ، وأنهم ليسوا حريصين على أن يكونوا هم الحكام ، وإنما حرصهم الأول أن يعود حق الله المسلوب من البشر ، وتعود خاصية الإله التي أسندها الإنسان لنفسه دون وجه حق ، فانتشر بسبب ذلك الظلم ، وعم أرجاء العالم ، واختل النظام ، وأصبحت الفوضى

هي القانون الذي يحكم البشر بعد أن غاب قانون الله وحكمه .

ولابد للدعاة وللحركة الإسلامية بمجموعها من إعلام الولاة بهذه الحقيقة ، فلعل ذلك يكون سبباً لإزالة بعض العوائق عن طريقهم في تبليغ دعوة ربهم .

● ابن دينار يقوم بهذه المهمة

وليس غريباً أن يفطن لهذه القاعدة عالم في القرون الأولى ، وهو الإمام مالك بن دينار ، عندما استطاع أن يقنع بسلوكه وكلامه الولاة في عهده بأنه ليس بحريص على ماهم عليه من الملك والرئاسة مما دعاهم أن يستمعوا إليه ، ويصغوا إلى إنكاره دون ملالة أو غضب ، حتى نراه يدخل على أمير البصرة وينكر عليه بعض الأمور بإسلوب ذكي غير مباشر ، إذ قال له :

« قرأت في بعض الكتب ـ من أحمق من السلطان ، ومن أجهل ممن عصاني ، ومن أعز من اعتز بي ، أيها الراعي السوء ، دفعت إليك غنماً سماناً صحاحاً ، فأكلت اللحم ولبست الصوف ، وتركتها عظاما تقعقع »[٢١٠] .

عندما انتهى مالك من كلامه ، أحس الأمير أنه هو المقصود ،

---

(٢١٠) تنبيه الغافلين للنحاس ص ٤٩ ـ ط ـ الرياض .

ولكنه لم يغضب ، ولم يمنعه من الكلام ، بل بين له سبب عدم غضبه عندما قال له « أتدري ما الذي يجرؤك علينا ، ويجنبنا عنك؟

قال : لا

قال : قلة الطمع إلينا ، وترك الإمساك لما في أيدينا »[٢١١] .

إذن هذا هو كل ما يخافه أصحاب السلطان من المعارضة وخاصة الإسلامية ، وهذا ما نجح فيه مالك بإبعاد شبح هذا الهاجس عن ولاة زمانه ، فاخترقت كلماته مجالسهم ، وردعتهم عن سوء كثير .

أما من تبدلت بزينة الدنيانيته ، وأصبح همه طلب الدينا من السلطان ، فلن تؤثر كلماته في نفوس أصحاب النفوذ مهما بلغ علمه ، ذلك لأنهم يعلمون أنه ما يريد نصيحتهم ، إنما يريد ما عندهم ، وهذا الأمر يحير الإمام ابن الجوزي لتناقضه فيقول « والعجب لمن شرفت نفسه حتى طلب العلم ـ إذ لا تطلبه إلا نفس شريفة ـ كيف يذل لنذل ، ما عزه إلا بالدنيا ، ولا فخره إلا بالمسكنة »[٢١٢] .

---

(٢١١) تنبيه الغافلين ص ٤٩ .

(٢١٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٤٦ .

● ابن تيمية وعشاق العروش :

عندما غزا التتار الشام عام ٦٦٩ هـ وهزموا عساكر الناصر بن قلاوون فر الكثير من الجند والأعيان والعلماء والأمراء، وساد السلب والنهب وخرج المحبوسون من السجون وثبت الإمام ابن تيمية وهو يرى أسراب الفارين ، دون أن تحدثه نفسه بالهرب لأن قلبه لا يطاوعه على ترك الأمانة وإن تركها عشاق العروش .

وذهل للسلطان وأمرائه يستحثهم على إعداد العدة وجمع الجند ، وقال لهم في حدة وغلظة والألم يعتلج في قلبه لشدة ما يرى من تضييع الأمانة والحرص على الحياة « إن كنتم أعرضتم عن الشام ، وحمايته أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن ، لو قدر أنكم لستم حكامه ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنت سلاطينه وهم رعاياكم ، وأنتم مسؤولون عنهم ، ثم قوي جأش الأمراء ، وما زال بهم حتى خرج السلطان بجنده إلى الشام »[٢١٣] .

وفي الفترة التي فر حكام الشام منها ، أصبح ابن تيمية رجل دمشق وحاكمها غير المتوج ، فأنكر المناكر ، وأقام الحدود ، وطبق النظام هو وأتباعه ، وعاد الأمن إلى الشام بسببه ، مما أثار جماعة من حساده « فأرادوا أن يكيدوا له من هذه الناحية ، فقد جاء إلى نائب

---

(٢١٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٥ .

السلطنة كتاب فيه ان ابن تيمية ومعه غيره من العلماء والأفراد والخواص يناصحون التتار ، ويكاتبونهم ، ويؤيدون من يمالئهم »[٢١٤] . ونفس البلاء والفتنة يعود بثوب جديد لرواد الحركة الإسلامية في العصر الحديث ، فيتهموا باتصالهم بالإنجليز ومحاولة قلب النظام ، وهي التهمة التي لم تمل الأنظمة الطاغوتية ترديدها كلما أرادت أن تضرب فئة من الحركة الإسلامية .

« فأحضره السلطان الناصر لدين الله بين يديه وقال له : إنني أخبرت أنك أطاعك الناس ، وأن في نفسك أخذ الملك »[٢١٥] فعندما انتهى السلطان من قراءة نص الإتهام الموجه من عشاق العروش لم يكترث به ، بل أراد أن يحفر في نفس كل متعلق بالعرش حروفا من التعالي على المتاع الدنيوي الزائل . وأراد أن يفهمهم بأن الدعاة أعلى من أن يحرصوا على شيء يزهدون الناس فيه ، فصاح بصوت عال سمعه كثير ممن حضر المجلس ، وكأنه يستشعر بأن أذن السلطان تمثل آذان كل عشاق العروش الذين يزهقون الأنفس الطاهرة الزكية في سبيل عروشهم ألا تهتز قائلا « أنا أفعل ذلك ؟ والله إن ملكك ، وملك المغول لا يساوي عندي فلساً ، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله في قلبه من الهيبة العظيمة : إنك والله لصادق وإن الذي وشى بك لكاذب »[٢١٦] .

(٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦) الكواكب الدراري .

● بهلول والرشيد

« قال بهلول للرشيد : من رزقه الله مالا وجمالا فعف في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار . فظن أنه يريد شيئاً ، فقال : إنا أمرنا بقضاء دينك .

فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، أردد الحق إلى أهله ، وأقض دين نفسك من نفسك .

قال : إنا أمرنا أن يجري عليك رزق تقتات به .

قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني ، وها أنا قد عشت عمرا لم تجر علي رزقاً ، انصرف لا حاجة لي في جرايتك .

قال : هذه ألف دينار خذها .

فقال : أرددها على أصحابها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها ، انصرف عني فقد آذيتني فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا »[٢١٧] .

---

(٢١٧) البداية والنهاية ١٠ / ٢٠٠

القاعدة الخامسة : ترك النصيحة في الملأ

وهو أصل عظيم ، وقاعـدة جليلة في الإنكار عـلى أصحاب النفوذ ، وقد مر معنا في حديثنا في بعض قواعد الإنكار كلام العلماء في ذلك وكراهيتهم لهذا الأمر ، وإذا كانت النصيحة أو الإنكار في الملأ من الأمور المكروهة عند عامة الناس فهي أشد كراهة في حق أصحـاب النفوذ ، وهي أكـثر شـدة عليهم من عـداهم ، حتى جعلت الرشيد والذي يعتبر من خيرة خلفاء بني العباس . يذكر للأصمعي بعض مبادىء النصح لأصحاب السلطان كـان أولها عدم النصح في الملأ ، إذ يقول :

« يا عبدالملك ، أنت أعلم منـا ، ونحن أعقل منـك ، فلا تعلمنا في ملأ ، ولا تسرع إلى تذكيـرنا في خـلا ، واتركـنـا حتى نبتدئك بالسؤال ، فإذا بلغت من الجواب قدر الاستحقـاق فلا تزد ، إلا أن نستدعي ذلـك منك . وانـظر إلى ماهـو ألطف في التـأديب ، وانصف في التعليم ، وأبلغ بـأوجـز لفظ غـايـة التقويم »[٢١٨] .

---

(٢١٨) أدب الدنيا والدين ٩١ .

القاعدة السادسة ـ عدم إظهار الأستاذية

يقول الماوردي « وليخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة ، لا مخرج التعليم والإفادة ، لأن لتأخير التعلم خجلة تقصير ، يجل السلطان عنها ، فإن ظهر منه خطأ أو زلل ، في قول أو عمل ، لم يجاهر بالرد ، وعرض باستدراك زلله ، وإصلاح خلله ، وحكى أن عبدالملك بن مروان قال للشعبي كم عطاءك ؟

قال : ألفين

قال : لحنت

قال : لما ترك أمير المؤمنين الاعراب ، كرهت أن أعرب كلامي عليه »(٢١٩) انظر إلى أدبه مع أمير المؤمنين ، وفقهه بالإنكار .

كيف إنه لم يبد له أنه أخطأ بالنحو ، بل التمس له العذر ، وجعله في موضع التارك للإعراب مع معرفته له .

فقال « لما ترك أمير المؤمنين الإعراب » مراعاة منه لما يراود النفس من الغضب إذا تبوأت مثل هذا المنصب .

---

(٢١٩) أدب الدنيا والدين ٩١ .

* القاعدة السابعة ـ ترك التخشين في الموعظة

ونلتقي مرة ثانية مع الرشيد الذي علم الأصمعي مبادىء الإنكار على السلطان ، يتصدى له ناسك لا يعرف شيئاً من هذه المبادىء ، وأغرا حب الرشيد للعلماء واستماعه لمواعظهم فأغلظ له بالموعظة بينماكان في صيده ، فقال له الرشيد « يا هذا أنصفني في المخاطبة والمسألة »

قال الناسك : ذلك أقل ما يجب لك .

قال : أخبرني . أأنا شر وأخبث أم فرعون ؟؟

قال : بل فرعون

قال : فأخبرني ، أأنت خير أم موسى بن عمران ؟

قال : بل موسى صفي الله وكليمه .

قال الرشيد : أفما علمت أنه لما بعثه الله وأخاه هارون إلى فرعون قال لهما « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »

قال : نعم

قال : هذا فرعون في عتوه وجبروته أنت جئتني وأنا بهذه الحالة . التي تعلم . أؤدي فرائض الله علي ، ولا أعبد أحداً سواه ، أقف عند أكبر حدوده ، وأمره ونهيه ، فوعظتني بأغلظ الألفاظ ،

وأشنعها ، وأخشن الكلام وأفظعه ، فلا بأدب الله تأدبت ، ولا بأخلاق الصالحين أخذت ، فما كان يؤمنك أن أسطو بك ، فإذا أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنياً .

قال الزاهد : أخطأت يا أمير المؤمنين ، وأنا أستغفرك .

قال : قد غفر لك الله ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فأبى أن يأخذها »[٢٢٠] .

وقد يكون الداعية متمنيا أن يموت خير ميتة ، وأن يحوز على أعظم الجهاد بكلمة حق يقولها في وجه سلطان جائر ، فيها من الغلظة والخشونة ما يناسب مناكر ذلك السلطان الجائر ، ولكن لابد أن يزن الوضع الذي هو فيه فإن كان الضرر الذي يعقب هذه الكلمة الخشنة منحصرا فيه هو ، فلا بأس بقولها إذا كان هذا هو الأسلوب الرادع لمثل هؤلاء الطواغيت ، أما إذا علم أن الضرر سيتعداه لباقي أفراد الحركة الإسلامية فلا يجوز ، ويبين هذا الأمر الإمام ابن الجوزي إذ يقول «الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ ، فأما تخشين القول ، نحو

---

(٢٢٠) تاريخ الطبري ج ٨ ص

يا ظالم ، يا من لا يخاف الله ، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز ، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء »[٢٢١] .

---

(٢٢١) الآداب الشرعية ١ / ١٩٧ .

القاعدة الثامنة : اختصار الموعظة

نقل ابن مفلح عن كتابه «الآداب الشرعية» قول علي بن سليمان « إنه يستحسن مع الرؤساء الإيجاز والاختصار ، لأن الإكثار يضجرهم حتى ربما يصيرهم إلى استقباح الحسن مما يكاتبون به ، والرد عما يسألون »[٢٢٢] .

ذلك لأن كثرة انشغالهم بأمور الرعية ، وما يتهددهم من مخاطر داخلية وخارجية ، ومتابعتهم للمسؤولين على مرافق البلد لا يجعل لهم متسعا من الوقت للإصغاء للمواعظ المطولة والتي يغلب عليها الطابع الإنشائي أكثر من أي شيء آخر .

نماذج من المواعظ المختصرة

١ ـ « قال معاوية رضي الله عنه لابن الكواء : ترى الزمان ؟
قال : أنت الزمان ، إن تصلح يصلح »[٢٢٣]

٢ ـ وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن البصري ، عظني

---

(٢٢٢) الآداب الشرعية ١/٣٩٣ .

(٢٢٣) المصباح المضيء ٢/٤٢ .

وأوجز ، فكتب إليه « أما بعد ، فإن رأس ماهو مصلحك ، ومصلح بـه على يـديك ، الـزهد في الـدنيا ، وإنمـا الزهـد باليقين ، واليقين بالتفكـر ، والتفكر بـالإعتبار ، فـإذا أنت فكرت في الدنيا ، لم تجدها أهلا أن تبيع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلا أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإنما الدنيا دار بلاء ، ومنزل غفلة »[٢٢٤] .

٣ ـ وعن عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه قال : قال لي عمر بن عبدالعزيز : عظني قلت « اضطجع ، ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة ، فخذ فيه الآن ، وما تكره أن يكون فيـك تلك السـاعـة ، فدعـه الآن »[٢٢٥] .

٤ ـ ووعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال « إن الله عز وجل لم يجعل فوقك أحدا ، فلا تجعل فوق شكرك شكرا »[٢٢٦] .

---

(٢٢٤) المصباح المضيء ٢ / ٦٧ .
(٢٢٥) المصباح المضيء ٢ / ٨١ .
(٢٢٦) الآداب الشرعية ١ / ١٩٨ .

٥ ـ وعظ ابن السماك أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال « يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله مقاماً ، وإن لك من مقامك منصرفاً ، فانظر إلى أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار ؟ فبكى هارون حتى كاد أن يموت »[٢٢٧] .

٦ ـ وجاء في ترجمة عبدالله بن عبدالعزيز العمري ـ الزاهد ، قوله لأمير المؤمنين هارون الرشيد وهو واقف على الصفا :

« أتنظر كم حولها ـ يعني الكعبة ـ من الناس ؟ فقال : كثير فقال : كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت تسأل عنهم كلهم ، فبكى الرشيد بكاء كثيراً ، وجعلوا يأتونه بمنديل بعد منديل ينشف به دموعه »[٢٢٨] .

٧ ـ وعظ الإمام ابن الجوزي الخليفة ، المستضيء بأمر الله فقال له :

« لو أني مثلت بين يدي السدة الشريفة لقلت يا أمير المؤمنين كن لله سبحانه مع حاجتك إليه ، كما كان لك مع غناه عنك ، إنه لم يجعل أحدا فوقك ، فلا ترضى أن يكون أحد أشكر له منك »[٢٢٩] .

---

(٢٢٧) المصباح المضيء ٢ / ١٧٣ .

(٢٢٨) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٥ .

(٢٢٩) الآداب الشرعية ١ / ١٩٧ .

خاتمة

بعد عرض هذه القواعد المستنبطة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن أفواه الصحابة الكرام ورجال الصدر الأول ، ورجال الحركة الإسلامية في العصر الحديث ، لا أجزم بأن هذه القواعد هي كل القواعد التي تحفظ الحركة الإسلامية أثناء قيامها بعملية الإنكار من الإنحراف والإنجراف والإستئصال قبل نضج أبنائها ، ولكنني أظن أن هذه هي أبرزها وأعتقد بأن تطبيق هذه القواعد لا يعني إيقاف الفتنة التي تصاب بها الحركة الإسلامية بين آونة وأخرى ، ولكنها أسباب تساعد على المضي في هذا الطريق الذي وضحه لنا القرآن ، وتؤدي إلى نتائج أفضل وخسائر أقل بإذن الله .





الفهـرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



مطابع القبس التجارية